جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

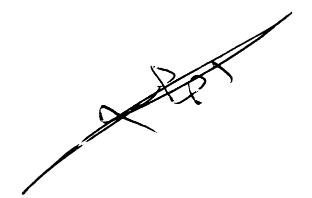
الدم في الشعر الجاهليّ

إعداد
نـهيل توفيق أحمد العارضة

إشراف
أ. د. إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2012م



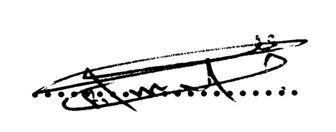
الدم في الشعر الجاهلي

إعداد

نهيل توفيق أحمد العارضة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2012/2/5م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
1. أ. د. إحسان الديك / مشرفاً ورئيساً	....
2. د. جمال غيظان / ممتحناً خارجياً	....
3. أ. د. عادل أبو عمشة / ممتحناً داخلياً	....



الإهداء

إلى كل من وقفوا بجانبي

إلى روح جدي

إلى أبي وأمي

إلى أخي وأخواتي

إلى أعمامي وعماتي

إلى صديقاتي

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

الشكر والتقدير

بعد حمد الله والثناء عليه،

أتقدم بالشكر الجزيل من الأستاذ الدكتور إحسان الدّيك الّذي أحاطني بعناية علمية إرشادية تقويمية خاصة في جميـــع مراحـــل البحث، إذ بذل كثيراً من وقته وجهده في سبيل متابعتـــه، وإبـــداء النصح والإرشاد

كما أتقدم بعظيم الشكر من عضوي لجنة المناقشة، اللـــذين تفضلا بقبول مناقشة رسالتي وتقويم ما اعوَّج منها.

كما أتقدم بجزيل الشكر من الأستاذ وائل محيي الـــدين لمـــا بذله من جهود .

الإقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الدم في الشعر الجاهليّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء مـــا تمـــت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة علمية، أو بحث علمي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

:Student's name	**اسم الطالبة:**
:Signature	**التوقيع:**
:Date	**التاريخ:**

فهرس المحتويات

الدم في الشعر الجاهلي

إعداد

نهيل توفيق أحمد العارضة

إشراف الأستاذ الدكتور

إحسان الديك

الملخص

يدور هذا البحث حول "الدم في الشعر الجاهلي" وتكمن أهمية دراسة هذا الموضوع، في أنه يكشف عن جوانب من فكر الإنسان الجاهلي، الذي يعدُّ جزءاً من فكر الإنسان العربي القديم والحديث واقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

عرضت في المقدمة أسباب اختيار هذا البحث، وجعلت الفصل الأول في مبحثين، تحدثت في المبحث الأول عن الدم في الموروث الإنساني، فوجدتهم قد نظروا إليه نظرة ملؤها التقديس والرهبة، فهو في نظرهم أساس الحياة والقوة الدافعة للجسم، وذهابه يعني ذهابها.

كما اعتقدوا بوجود قوة حيوية في الدم، وقد بدا ذلك جلياً في طقوسهم وممارساتهم.

وعرضت في المبحث الثاني نظرة العرب الجاهليين إلى الدم، ولم أجدها تختلف عن نظرة الأمم الأخرى له،حيث تكاد تنفق نظرتهم إليه مع نظرة تلك الأمم، وخلصت إلى أن العرب آمنوا كغيرهم من الشعوب القديمة، أن الدم صانع الحياة، وقد بدت قدسية الدم جلية واضحة في كثير من الطقوس والممارسات التي مارسوها.

كما جعلت الفصل الثاني أيضاً في مبحثين، خصصت المبحث الأول للمفهوم اللغوي للدم، وتحدثت عن أسماء الدم وصفاته ومعانيها والأبيات التي وردت فيها.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي، حيث وجدت الشعراء قد تناولوا الدم في أشعارهم، وعرضوا له في قصائدهم، فجاء في أثناء حديثهم عن القوة والشجاعة، والثأر والصيد،والخمر، والظعائن، وغيرها من المواضع المتفرقة.

إضافة إلى معالجة أبرز المواقف التي تعامل فيها الشاعر الجاهلي مع الدم وارتباطه بهذه الأعراض.

وفي الفصل الثالث توقفت عند مفهوم الصورة الشعرية وأبعادها، وانتقلت إلى الحديث عن أبعاد صورة الدم في الشعر الجاهلي، فوجدت لهذه الصورة ثلاثة أبعاد، حيث زخرت في بعدها الديني بمعتقدات دينية، أثبتت من خلالها قدرة الشاعر الجاهلي على استقاء مادته من أصول ميثولوجية، وتاريخية ودينية. وتحدثت في البعد النفسي عن الأداء الذي أثاره الدم في نفوس الجاهليين من خوف وتشاؤم وتفاؤل.

وسجلت في البعد الاجتماعي بعض العادات والقيم الاجتماعية التي برزت من خلال الدم.

وعرضت في الخاتمة أهم النتائج التي وصل إليها البحث وأتبعتها بثبت للمصادر والمراجع، فرتبتها حسب الحروف الهجائية.

المقدمة

لقد دفعني حبي للشعر الجاهلي،إلى اختيار هذه الدراسة _ تحديداً_ فهو المثال الذي احتذاه الشعراء اللاحقون في قصائدهم، وهو تراث خالد لأمة عظيمة كان وما يزال مدعاة فخرها وزهوها، كما كانت الرغبة حقيقية في أن يكون الدم في الشعر الجاهلي هو موضوع هذه الدراسة، لأهميته وقداسته عند القدماء وحضوره في كثير من طقوسهم، فرأيت أنه قمين بالدراسة لبيان هذه الأهمية، وتوضيح هذا الدور الذي لعبه في حياة الأمم بعامة وحياة العرب بخاصة، ولما في الموضوع من طرافة ومغامرة وبحث في ركام الماضي.

ومن دواعي هذه الدراسة ومبرراتها، أن الدم لم ينل من الدراسة حظاً وافراً، ولم يحظ بدراسة سابقة شاملة ومتخصصة من هذا النوع _ على الرغم من حضوره الفاعل في أشعار الجاهليين _ وإنما اقتصرت الدراسات السابقة على بعض الدراسات النظرية التقليدية المبعثرة في ثنايا الكتب التراثية القديمة وكتب الأساطير.

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز الجانب الأسطوري للدم وإلى تجاوز الطريقة التقليدية في دراسة الشعر، وتتبع تأثير الفكر في الشعر، فيما يتعلق بالدم.

وما يميّز هذه الدراسة أنها تتمتع بقيمة أدبية ومعرفية تكشف بطريقة مباشرة كثيراً من المعتقدات عن الدم، وتثبت أن الفكر المعاصر امتداد وتواصل للفكر الإنساني البدائي، وذلك بناءً على مفهوم اللاشعور الجمعي، إلاّ أنه تواصل يتعرض للتغير والتحول مع المحافظة على البذور الأولى لذلك المعتقد.

كما أنها تتناول موضوع الدم تناولاً مباشراً ومفصلاً على مستوى الشعر الجاهلي معتمدة على الموروث القديم في الأساطير العالمية والعربية.

وقد حاولت جاهدة في هذه الدراسة الاستفادة من مناهج دراسية عدة، وبخاصة المنهج الأسطوري بغية الكشف عن الصلة بين النتاج الشعري والطقوس الشعائرية البدائية، وأخذت من المنهج التاريخي، والوصفي، والاجتماعي، والنفسي والجماليّ.

وقد استعنت بالمصادر والمراجع التاريخية ودواوين الشعراء، وما تفرق من أشـعارهم، كلسان العرب والأصمعيات والمفضليات والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام وغيرها.

كما استعنت بالدراسات النقدية والأدبية الحديثة، أهمها: "الصورة الفنيـة فـي الشـعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث"، "والصورة في الشعر العربي حتى آخر القن الثـاني الهجـري دراسة في أصولها وتطورها".

هذا، وقد ارتأيت أن تكون هذه الدراسة في ثلاثة فصول، أما الفصل الأول فقد تناولـت فيه الدم في الموروث الإنساني وقسمته حسب المواضيع، وتحدثت فيه عن الدم والخلق، والـدم والقرابين، والدم والمواثيق، والدم والطقوس الدينية، والدم والعادات والتقاليد، والـدم وطقـوس الزواج، والدم والسحر، وقوة الدم.

وفي المبحث الثاني تناولت الدم في الموروث الجاهلي وبينت مدى تأثره بالأمم السـابقة في معتقداتهم وطقوسهم.

وفي الفصل الثاني تناولت أسماء الدم وصفاته ومواضع وروده في الشـعر الجـاهلي، وقسمته مبحثين، تناولت في الأول أسماء الدم وصفاته، وقد وقفت من خلالـه علـى المفهـوم اللغوي للدم وصفاته، ، كما بينت فيه أسماء الدم وصفاته، ومعانيها في معاجم اللغـة العربيـة، والأبيات الشعرية التي وردت فيها.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي وبينت علاقـة الدم بهذه المواضع، فتحدثت عن الدم والقوة والشجاعة، والثأر، والدم والصيد، والدم والظعـائن، والدم والخمر، والدم ومواضع أخرى.

وقد خصصت الفصل الثالث لصورة الدم في الشعر الجاهلي وأبعادها، وقـد تناولـت الأبعاد الدينية الكامنة وراء صورة الدم من خلال بعض الصور ذات الطابع القدسي، كـالقرابين والخمرة وغيرها.

وفي البعد النفسي تحدثت عن الشعور النفسي الذي تخلفه صورة الدم في الشاعر الجاهلي، كالتشاؤم، والتفاؤل، والرعب، والخوف وغيرها.

أما البعد الاجتماعي، فقد تناولت فيه بعض العادات الاجتماعية المرتبطة بصورة الدم كالكرم والشجاعة والثأر.

وفي الخاتمة سجلت خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصلت إليها، وإن كنت لا أخفي الصعوبات التي واجهتني في عملية البحث والدراسة، ومن أهمها تناثر المادة في مصادر ومراجع عديدة، إذ لم تكن أكثر من ملاحظات سريعة، يتطلب الحصول عليها الجهد المضني.

الفصل الأول

الدم في الموروث القديم

المبحث الأول: الدم في الموروث الإنسانيّ

المبحث الثاني: الدم في الموروث الجاهليّ

المبحث الأول

الدّم في الموروث الإنسانيّ

اعتبر الدم منذ القدم أساس الحياة، والقوة الدافعة للجسم، فبه تبدأ حياة المولود، وهو الذي يحفظها، وذهابه يعني ذهاب الحياة. فهو لذلك عنصر عزيز، وقد رأى الإنسان البدائي أن الـــدم هو الحياة نفسها، حين اعتاد أن يرى دم الإنسان يسيل فيموت الجسم، ولذلك أصبح يعتقد أن هذا الدم هو الحياة تتدفق داخل الجسم، ويرتبط بهذا التصور العام نفسه الاعتقاد بأن روح أي كـــائن أو نفسه إنما توجد في دمه. ولذلك فإذا سال الدّم زهقت روح الكائن الموجودة في دمـــه، ولهـــذا السبب تكونت مجموعة كبيرة من المحرمات والخرافات، والممارســـات السّـــحرية، والطقـــوس الدائرة حول الدم، والمتعلقة به.

الدم والخلق

تجمع الثقافات القديمة على أن الإنسان الأول مخلوق من مادة حمراء، هي دم الآلهة، أو هي تربة حمراء اكتسبت حمرتها من دم الإله، أو هي خليط مـــن التربـــة الحمـــراء ودم الإلـــه الصريع، ولعل هذه الأساطير كانت تحاول أن تفسر علاقة الدم بالحياة، فلعل البدائي لاحـــظ أن خروج الدّم يؤدي إلى الموت، فربط بين الحياة والدم، وعده المادة الأولى للخلق[1].

كان البابليون أكثر الشعوب وضوحا في صياغة أفكارهم عن خلق العالم، التي تتبـــدى أفكارهم في عدد من الأساطير كان أهمها على الإطلاق أسطورة الخلق البابلية الرئيسة المســـماة بملحمة (إينوما إيليش)، أي (عندما في الأعالي). علاوة على عدد آخر من النصوص التي تتعلق بكيفية خلق العالم[2].

([1]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**،ط1،لبنان:جروس برس،2001، ص 61

([2]) عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ط1، سورية / دمشق: دار الحصاد للنشـــر والتوزيع والطباعة، 1999، ص 53، والسواح، فراس: **الأسطورة والمعنى**، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية، ط2، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2001، ص 36، 37

ويحتل خلق الإنسان شطراً لا بأس به من الرقم السادس من ملحمة (إينوما إيلــيش)، إذ تخبرنا أن الإله (مردوك) بعد أن يقوم بتأسيس الدورة السنوية ونظام الأشــهر، وبعــد تأســيس الطرق الفلكية الثلاث، يفكر عندها بأن يريح الآلهة، وبعد أن استشار (مردوك) أباه (إيا)، خلــق إنساناً من خليط الطين والعظم والدم، ليكون في خدمة الآلهة، وبعد هذا الجهد القاسي الذي بذلته الآلهة ركنوا للراحة [1].

حدث مردوك إيا قائلاً

إني خالق دماً، إني خالق عظماً

منهما سأخلق الإنسان

سأخلق الإنسان ليخدم الآلهة

أفك أسرار الآلهة، أحررها من عبوديتها

وتشير الملحمة صراحة إلى أن الإله الذي خلق الإنسان من دمــه، هــو (كنجــو) زوج (تيامات)

من منكم أوغر صدر تيامات

وكنجو، كنجو هو الذي ثار

قتل كنجو، قطعت شرايينه، سال الدم

ومن الدم خلق الإنسان

خلق الإنسان ليعبد الآلهة، ويخدمها [2]

([1]) عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**،ص59

([2]) السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى** (دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين)، ط 13، سورية / دمشــق: دار علاء الدين، 2007، ص 83

وتوحي عملية خلق الإنسان، وبشكل صريح، بوجود جزء إلهي من (دم كنجو) في الذات الإنسانية، أي بوجود جزء غير قابل للفناء في الإنسان[1].

وترى أسطورة أخرى أن دماء الآلهة تستعمل في خلق الإنسان دون طــين، ويحكـــي النص أن الآلهة الأنوناكي (آلهة السماء)، حثوا (إنليل) على خلق الإنسان من دم بعض (اللامجا) (آلهة الحرف) حيث ستكون مهمة ذلك الإنسان القيام بأعمال الآلهة في كل زمن، بحرث الحقول وريها، وبناء المعابد والمحاريث لهم، ولذلك خلق إنسيين يحملان إسمي (إلجار)، و (أوليجـــار) أو (زناليجار) [2].

في (أو زوموا) عماد السماء والأرض

لنذبح بعض آلهة الامجا

ومن دمائهم فلنخلق الإنسان

ولنوكله بخدمة الآلهة

على مر الأزمان

(إوليجار) و(إلجار)

سيكون اسماهما [3]

وهناك أسطورة خلق مهمشة، كانت تستعمل مقدمة لرقية تتلى عند الولادة، لم تحفظ منها سوى الفقرة التي تعالج خلق الإنسان، وعن هذه الرواية، أن الآلهة تحولت إلى (مامي) المعروفة باسم (أرورو) طالبين منها خلق الإنسان ليحمل نير الآلهة.[4]

---

(1) عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ص 60

(2) المرجع السابق، ص 60

(3) السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، ص 103

(4) المرجع السابق، ص 61

أنت الرقم الأول الأزلي، أنت خالقة البشرية

إخلقي إذن لوللو

ليحمل النير...

ففتحت ننتو فاها

وخاطبت الآلهة العظام (إليّ يرجع صنع كل شيء لائق)

... فليكن لوللو!!

ليكن من الطين لتدب فيه الحياة بالدم [1]

واعتبرت الأساطير الآشورية أن البشر تم خلقهم من مادة الصلصال التي نفخ فيها الإله نفس الحياة، أو من الصلصال الممزوج بدم إله تمت تضحيته لهذه الغاية [2].

وفي سفر التكوين العبراني، نجد إله اليهود (يهوه)، يقوم بخلق الإنسان من طين، "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض" [3].

الدّم والقرابين

القربان أعظم ما يتقدم به الإنسان للآلهة، واهبة الحياة والدّم، فقد اعتقد الناس قديماً أنهم عندما يقدمون الضحية، فإن الآلهة تشرب من دمائها، فتهدأ وتستجيب للإنسان[4] .فالضحية في جوهرها هي ضحية دم، وليس ضحية لحم، والدم هو أحب وجبات الآلهة على الإطلاق، وليس

([1]) عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ص 61

([2]) الشواف، قاسم: **ديوان الأساطير**، سومر وأكاد آشور، الموت والبعث والحياة الأبدية، ط1، لبنان / بيروت: دار الساقي، 2001، 31/45.

([3]) الكتاب المقدس، **سفر التكوين** 7، الإصحاح 2

([4]) الباش، حسن؛ السهلي، محمد:**المعتقدات الشعبية**، (د.ط)، دار الجليل، (د. ت)، ص 256

في مقدور الناس أن يبخلوا به عليهم، وخاصة أن أحداً لم يكن يساوره شك في أن الآلهة يحافظون على نظام الكون السائد[1].

ففكرة التضحية فكرة طبيعية، والإله سيد، له من البشر الهدايا والواجبات، يحاولون من خلالها بلوغ رضاه، والحصول على بركاته الطيبة عن طريق التضحية [2]. فالإنسان يتقرب للآلهة ويسترضيها بتقديم أفضل شيء في الوجود ألا وهو دم أول أبنائه، ثم تطورت المجتمعات عن تلك الخطوة، وأصبحت تقدم الحيوانات بدلاً من الوليد الأول، وكان يشترط في كل تلك الأطوار أن يسال دم الأضحية بكمية كبيرة على مذبح الإله. ولا يتصور قبول الإله للضحية إلاّ إذا سلمنا أن الربّ يجوز في حقه أن يأكل، ومن هنا جاء تقريب المواد الغذائية وبسطها وحرقها فوق المذابح، فإذا أكل الإنسان بنفسه جزءاً من القربان المقدم وقعت مشاركة حقيقية، وقد صورت هذه الفكرة على أختام أسطوانية اكتشفت في سوريا تمثل الربّ والعبد يشربان من وعاء واحد بوساطة بوصتين طويلتين، وتوجد حالات معينة تصبح الضحية فيها بديلاً عن الشخص المقدم عنه[3].

وقد ذبح الكنعانيون الحيوانات، وصبوا الخمور فوق الأضرحة، لاعتقادهم أنها تسقي أمواتهم الذين هم في العالم الآخر أو العالم الأسفل، ومن المرجح أن دم الذبائح كان يصب في المقابر[4].

ومن ذلك أيضاً ما وجد في معبد كالي في الهند، أكثر المعابد دموية عبر التاريخ، فقد كان مكاناً أقرب إلى بيت لذبح الماشية منه إلى معبد، بسبب كمية القرابين الحيوانية التي تقدم لها، ففي عيدها السنوي في كلكتا يذبح الحجاج تحت قدميها ما يقارب الثمانمائة رأس من

([1]) ألبيديل، م.ف: **سحر الأساطير**(دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 2005، ص 162

([2]) كونتنو، ج، **الحضارة الفينيقية**، ترجمة د.عبد الهادي شعيرة، مراجعة د.طه حسين، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997، ص 159

([3]) المرجع السابق،ص164

([4]) الباش، حسن: **الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي**، ط 1، دمشق: دار الجليل، 1988، ص 43

الماشية، واهبين دماءها للآلهة التي وهبت كل حيّ دمه، ويكوّمون الرؤوس في أهرامات عالية أمام تمثال الإله، ثم يعود كلّ منهم ببقية الوليمة إلى بيته ليقيم الوليمة المقدسة[1].

وكانت القرابين البشرية من أهم أنواع القرابين المقدمة للآلهة، حتى وصل الأمر بهذا الإنسان أن امتدت يداه ليذبح أطفاله، وتسيل دماؤهم على مذابح الآلهة ولاء وتفانياً وإخلاصاً لها، ولم يكن هذا الإنسان متوحشاً أو قاسي القلب، وإنما كان على ثقة راسخة أن هذه القرابين هي التي تساعد على استقرار نظام الكون وثباته، "تحكي الأساطير مغزى الذبائح البشرية فتقول، حدث يوماً أن توقفت الشمس عن الحركة، وكان ذلك يعني إمكانية أن يندثر كل ما هو حيّ على وجه الأرض، ولكي تمنح الشمس قوة، قدم الآلهة أنفسهم ذبائح، وأعطوا دماءهم لها، وعندئذ استأنفت حركتها وتابعت طريقها" [2].

وكانت عادة التقرب إلى الآلهة بالضحايا البشرية شائعة عند كل الشعوب القديمة، فقد لعبت عادة التضحية بالأبناء دوراً بارزاً في الديانة الكنعانية، فقد عثر في موقع (جزر) على هيكل لفتاة تبلغ الرابعة عشرة من عمرها إلى جانب خمسة عشر هيكلاً آدمياً في غرفة أسطوانية نحتت في الصخر، وقدمت في طقس مقدس، وكذلك على هياكل لأطفال محفوظة في جرار تحت أرض معبد، كما عثر على مزيد من هؤلاء الأطفال حول معبد منحوت في الصخر في بلدة (تعنك) في فلسطين[3].

وقد قدم كثير من الآباء في الأسرات الأرستوقراطية المصرية بناتهم ضحايا للنيل الذي كان من أكبر آلهتهم، وكانت هذه التضحية من أجل الأعمال التي يتقرب بها إلى الإله، لترضى بها نفسه، فيعمر البلاد بخيره وفيضانه [4].

([1]) السواح، فراس: **لغز عشتار** (الألوهية المؤنثة و أصل الدين والأسطورة)، ط 6، دمشق: دار علاء الدين، 1996، ص 237

([2]) الديك، إحسان: ***النماذج البيئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية،*** أغنية (بكرة العيد وبنعيد) نموذجاً مجلة جامعة النجاح للأبحاث/العلوم الانسانية، نابلس، فلسطين، م24،ع7،تموز،2011، ص2071

([3]) فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلة إبراهيم، (د.ط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، 1/ 152، 252

([4]) وافي، علي عبد الواحد: **غرائب النظم والتقاليد والعادات**، (د. ط)، القاهرة: دار النهضة للطبع والنشر، (د. ت)، ص 83

كما قدم المصريون هذه الضحايا بوفرة وفي مناسبات كثيرة،حتى بلغ ما يقدم منها لديهم زهاء خمسين ألفاً كل عام. وكان معظم هذه الضحايا يقدم لنبات الذرة الذي يتألف منه غــذاؤهم الرئيس، بعد أن يهشم جسم كل ضحية منها بحجرين ثقيلــين يصــوبان ضــرباتهما المتتاليــة السريعة إلى ظهر الضحية وصدرها، وقد جرت العادة لديهم أن تكون الضحية في مرحلة مــن العمر تشبه مرحلة نبات الذرة في الوقت الذي تقدم فيه، فتكون وليداً عقب ظهور النبات، ورجلاً بعد تمام نموه، وطفلاً أو مراهقاً أو شاباً فيما بين ذلك، ويعتقدون أن هذا التناســب بــين ســن الضحية والمرحلة التي يجتازها النبات يجعل لها أكبر الأثر في نموه وغزارة محصوله.[1]

وانتشر هذا النظام كذلك بين كثير من السكان الأصــليين لإفريقيــا الوســطى وغربــي إفريقيا، وكانت الضحايا البشرية في هذه المناطق تقدم في الغالب من البنات العذارى اللاتي كن يربين لهذا الغرض في منازل الملوك والرؤساء ويتعهدهن رجــال الــدين ويتولــون تقــديمهن للآلهة.[2]

كما قدم قدامى اليونان، الضحايا البشرية لكبير آلهتهم (زوس)، وكــانوا يقــدمونها فــي مناسبات دينية ودنيوية كثيرة، وكان يكثر تقديمها في المجاعات والقحط والحــروب وانتشــار الكوارث والأوبئة وما إلى ذلك، لاسترضاء الإله واستدرار عطفه ورحمته، وكانت تختار مــن بين أفراد الأسرات الأرستقراطية.[3]

وقد ظل هذا النظام سائداً عند قدامى الرومان حتى قبيل الميلاد، ففــي عــام 97 ق.م. أصدر مجلس الشيوخ الروماني مرسوماً يحرم تقديم الضحايا من الآدميين، ولكن هذا المرسوم لم يقض على هذه التقاليد قضاء تاماً، ولا أدل على ذلك من أنه قد صدر بعد ذلك مرسوم آخر يجدد التحريم ويزيد في عقوبة من يقدم على تقديم هذا النوع من الضحايا [4].

([1]) وافي، علي عبد الواحد: **غرائب النظم والتقاليد والعادات**، ص 81

([2]) المرجع السابق، ص 81

([3]) المرجع السابق، ص 83

([4]) المرجع السابق، ص 83

وهناك آثار بدائية يتضمنها العهد القديم، لها نظائرها عند القبائل الهمجية مثل التضـــحية بالابن الأول، وقانون دنس النساء، ثم عادة تقديم ذبيحة الخطيئة ويسميها بعضهم كبش الفـــداء، ويرجع هذا الاصطلاح إلى عادة عبرية قديمة، إذ كان العبريون يقدمون كبشين ضحية تكفيـــراً عن ذنوب الشعب أو الفرد[1].

كما نجد (يهوه) إله العبرانيين وهو إله حقود، لا يكتفي بعقوبة المذنب وحده، بـــل إنـــه يتابع انتقامه من ذرية المذنب ويحل عليهم غضبه وانتقامه، وغضبه لا يهدأ إلاّ بالتضحيات التي تحرق على المذبح، ويسرّ لرائحتها كثيراً، وغضبه لا يزول بالتضحية الحيوانية فقط، بل لا بـــدّ من التضحية الإنسانية أيضاً [2].

واحتفظ الفنيقيون بعادة التضحية بالأبناء إلى العصور القريبة، حتى روى (فيلون) أنـــه كان من عادتهم في حالات الأخطار العامة أن يضحوا بأعز أبنائهم لإبعاد الكوارث عنهم. [3]

وقد اكتشفت في أور في منطقة المقابر الواقعة جنوب زقورة الإله (ننا) السومرية هياكل بشرية يتراوح عددها بين (73 -74) شخصاً، قدمت ضحايا للإله [4].

وكانت القرابين تقدم في طقوس التضحية عند الإغريق، ويسكب دمهـــا علـــى الأرض، وكانت للآلهة معابد في داخل القصور، حيث تظهر فيها إشارات مقدسة مـــن بينهـــا الصـــليب والحليّ وأواني النذور[5].

وقد ضحى ميشا ملك مؤاب بابنه الأكبر، فحرقه بالنار ليفك عن مدينته الحصار، ولمـــا أجاب ربه دعاءه، وقبل دماء ابنه، ذبح سبعة آلاف من بني إسرائيل شكراً على نعمته [6].

([1]) فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، 72/2

([2]) السواح، فراس: **مغامرة العقل الأولى**، ص 138

([3]) كونتنو، ج: **الحضارة الفينيقية**، ص 160

([4]) الماجدي، خزعل: **متون سومر**، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، ط 1، عمان: الأهليـــة للنشـــر والتوزيـــع، 1998، ص 320

([5]) الماجدي، خزعل: **المعتقدات الإغريقية**، ط 1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998، ص 83

([6]) السواح، فراس: **لغز عشتار**، ص 78

وضحّى الهنود برجل في وقت البذار حتى يخصب الأرض بدمائه، وفيما بعد خفتت الصورة بعض الشيء، فاكتفوا بذبح الحيوان قرباناً، حتى إذا ما حل موسم الحصاد فسّروه بأنه بعث للرجل الذي مات ضحية[1].

كما جرت العادة عند بعض قبائل الهنود الحمر أن تقدم لإلهة النباتات امرأة ذبيحة، وكانت هذه عادة من عِداد الأسيرات، وكانوا يلطخون أدوات العمل الزراعي بقطع جسدها، لقد كانت جثة المرأة المقتولة تقطع إلى قطع يحملونها إلى الحقل في سلال تقطر منها دماء الضحية في أرجاء الحقل المبذور، والهدف ضمان جمع محصول وفير [2].

أما هنود البيرو القدماء فقد كانوا يقيمون كل أربع سنوات طقساً يدعى القربان العظيم يسمونه (كاباك هوتشا)، تألفت ذبائحهم فيه من أطفال في سن العاشرة، يرسلون من شتى أنحاء الإمبراطورية إلى معبد العاصمة حيث يؤدى الطقس، أو يقدّمون في المكان الذي ينتمون إليه[3].

وفي المكسيك القديمة، كان يصنع تمثال للإله من الغلال والحبوب و الخضر يعجن بدماء صبيان يضحّى بهم لهذه الغاية، ثم يأكلونه على أنه بديل ديني لأكل الإله نفسه، لأن الإنسان الأول آمن بأن قوة ما تنتقل إليه حينما يأكله[4].

وقدم الناس في الأوساط الشعبية الأضاحي للأولياء، باعتبارها وسيلة لتحقيق الاتصال بين الإنسان و المقدس، وهو اتصال يستهدف أن يفدي الإنسان نفسه وأن يتطهر، والمناسبات التي ضحى فيها الإنسان بذبيح كثيرة متنوعة، ومنها ذبيحة الفداء التي تسمى (فدوة)، وهي وسيلة يشتري بها الإنسان نفسه، أو يفدي بها نفسه من وقوع مكروه، وهناك أضحية النذر، التي يقطع الإنسان فيها على نفسه أن يقدم لله (أو في العادة لولي معين) ذبيحة معينة إذا تحقق له غرض معين، وقد يضحي الإنسان قبل أداء عمل معين، أو الدخول في تجارة، أو رحلة، بقصد

---

(1) ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، (د. ط)، (د. ت)، مجلد 1، 2 /113

(2) ألبيديل، م. ف: **سحر الأساطير**، ص 89

(3) المرجع السابق، ص 161

(4) ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، مجلد1، 2 /115

أن يكلل مسعاه بالنجاح، ويضحي لكي ينصره على عدوه، وللحصول على الأطفال أو لشــفائهم من مرض خطير، أو لتجنب الإصابة في حالة انتشار وباء أو ما شابه ذلك.

وفي بعض الأحيان يمكن أن نلمس جذور الاهتمام بدم الذبيحة، والحرص على الاستفادة منه على نحو معين، حيث يحرص البعض على دهن جبهة الشخص الذي ذبحــت مــن أجلــه الضحية بدم تلك الضحية، ونجد ذلك الحرص واضحاً في حالة الأطفال بوجه خــاص.[1] ومــن الممارسات الشائعة عند تقديم هذه الأضاحي مثلاً، مسح عتبة ضريح الولي بدم الضحية كي لا ينسى طلب صاحب الحاجة، ولا ننسى كذلك أنه تقوم بين الضحية والشخص الذي تقدم له علاقة خاصة فيها شيء من التعاطف والالتزام، فالشخص الذي ينذر تمسح جبهته بدم الضحية، وكذلك القطيع الذي يُفدى عنه تمسح حيواناته بدم تلك الضحية[2].

وقد قدم العالم الألماني (باول كال) تلخيصاً للآراء التي قيلت في تفسير الممارسات التي يستخدم فيها دم الضحية، فعلامة الكف الذي يغمس في دم الضحية، ويرسم على حائط الضريح قد تكون مجرد علامة للذكرى يذكّر فيها الزائر الولي بزيارته ووفائه بنذره، أما تلطــيخ عتبــة بيت صاحب الضحية أو جدار بيته بدم تلك الضحية فيهدف إلى نقل البركة إلى بيت ذلك الرجل، لأن الضحية ودمها ملك للولي، ولصق جزء منها على البيت فيه استعارة لبركة ذلك الولي، كما أنها قد تعني امتداد قوة الولي وحمايته لتشمل أهل البيت فتدفع عنهم الشرور والأمــراض. أمــا تلطيخ جسد الشخص الذي ذبح من أجله حيوان الضحية بدم تلك الضحية فهــو إظهــار لرغبــة الأهل في تحقيق رابطة وصلة قوية بين هذا الشخص والضحية التي قدمت من أجله تعبيراً عــن الرغبة في أن ينتفع بها انتفاعاً حقيقياً وتحقق له ما ذبحت من أجله [3].

الدم والمواثيق

انتشر مصطلح ميثاق الدم عند كل الأمم، وكان على الدوام أقوى وألزم من كل المواثيق الأخرى، ويتم بشرب الدم، أو مزجه مع الأكل، أو الاغتسال به، وتنبع أهميته في أن أيــا مــن

---

(1) الجوهري، محمد: **علم الفولكلور (**دراسة المعتقدات الشعبية)، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1980، 80/2

(2) الباش، حسن؛ السهلي، محمد:**المعتقدات الشعبية**، ص 258

(3) الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، 81/2، 82

الطرفين لا يستطيع إلحاق الأذى بالطرف الآخر، دون أن يعود ذلك على الطرف الآخر لأن دمه ممزوج بدم زميله [(1)].

ويذكر سفر التكوين أن الرب ارتضى أن يعقد بينه وبين إبراهيم عهداً مقدساً، وأمره أن يضع بقرة عمرها ثلاث سنين، ونعجة عمرها ثلاث سنين، وكبشاً عمره ثلاث سنين، ويمامة وحمامة صغيرة، فأخذ إبراهيم البقرة والنعجة والكبش، وشطر كلا منها إلى شطرين، ونثر دمها في الهواء، فلما غربت الشمس وأظلم الكون، أبصر إبراهيم أتوناً يتصاعد منه الدخان، وشعلة من النار تمر بين أجزاء الضحية، وهنا أعلن الرب عهده لإبراهيم. وبهذا يكون الرب قد استجاب للتقاليد الشرعية التي كان يتطلبها قانون العبريين القدماء للتصديق على العهد، فقد كان من عادة الطرفين المتعاهدين أن يذبحوا بقرة ويشطروها إلى شطرين ويمروا بينهما، مما يؤكد كل التأكيد أن هذا كان هو النظام المتبع في هذه المناسبة [(2)].

كذلك مارس الإغريق طقوساً شبيهة بطقوس العبرانيين، فقد ذبحوا الضحايا عند قطع العهد، وشطروها إلى شطرين، ونثروا الدم المنسكب على الطرفين المتعاهدين، بوصفه وسيلة لخلع المهابة على العهد[(3)].

أما الكاريون فكانوا عند عقد حلف سلمي مع أعدائهم، يأتون بممثل عن كل جانب، ثم يمزجون برادة سيف ورمح وبارود وحجر في فنجان به ماء، ويضيفون إليها دم كلب وخنزير ودجاجة، تذبح جميعاً لهذا الغرض، ويسمى هذا المزيج من الدم والماء والبرادة (بماء السلام) ويغتسل كل طرف من الطرفين به[(4)].

وعند شعب البومالي، يتم إقرار ميثاق السلام بين قريتين من قرى ذلك الشعب عن طريق جمع سكان كل قرية منهما، ثم يقتل أحد العبيد، ويقسم جَسده إلى نصفين، نصف لكل

---

(1) الديك، إحسان: ***النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية***،ص2085

([2]) فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم،** 1/ 165، 166، 167

([3]) المرجع السابق، 166/1

([4]) المرجع السابق، 301/1

قرية من القريتين، ثم يقوم كل شخص حضر هذا الطقس بأكل قضمة من لحم ذلك العبد وشرب قطرة من دمه[1].

ومن أشهر أنماط ميثاق الدم على الإطلاق أخوة الدم، التي كانت تمارس عند جميع الشعوب بشكل أو بآخر، ويستمد مزج الدماء في هذه الحالة ضرورته من أن الروابط الدموية القبلية روابط على جانب كبير من القوة، ومن هنا فإن الشخص الذي لا أخوة له هو إنسان في وضع سيئ وضعيف، ولذلك يجد نفسه حريصاً على الدخول في ميثاق الدم، هو هنا أخوة الدم. مع نظير مثله يحتاج إلى الحماية. ومن شأن هذا الميثاق أن يجعلهما أخوة شرعيين (من وجهة نظر المجتمع)[2]. ولا شك أن تفاصيل هذه الطقوس تختلف من شعب إلى آخر، إلاّ أنها تتفق جميعاً على نقطة جوهرية واحدة هي تبادل الدم الذي يعد بمثابة خلق لعلاقة الأخوة الشرعية.

فنجد في طقس من الطقوس الجرمانية القديمة ما يوضح هذا المعتقد، حيث يتعين على الرجلين اللذين يريدان أداء هذا الطقس أن يشيدا قوساً كاملاً من الطين الممتزج بالعشب، بحيث يصل طرفاه إلى الأرض، ثم يزحفان تحت هذا القوس، ثم يفتحان وريداً في رسغ كل منهما بحيث يسيل منه الدم، ويمزجان دمهما ببعضه ثم يسيل على الأرض تحت ذلك القوس وهما راقدان زاحفان، وبعد أن يتم ذلك المزج، وتتم إسالة الدم يواصلان الزحف خروجاً من تحت القوس، فيصبحان أخوين إلى الأبد[3].

ومن ذلك أيضاً ما وجد عند عقد أواصر الصداقة بين القبائل التي تسكن إفريقيا الشرقية، حيث يحضر أحد الأطراف شاة، وكذلك الطرف الآخر، ثم يذبح الحيوانان، ثم يوضع دمهما معاً في وعاء، ثم تأتي مجموعة من الشيوخ من الطرفين، ويسكبون بعض الدم في راحتي أحد الأطراف الذي يسكبه بدوره في راحتي الطرف الآخر، وعند ذاك يستدعي الواقفون ليشهدوا

([1]) الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، 575/2

([2]) المرجع السابق.

([3]) فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، 166/1

على امتزاج دم الحيوانين، ويستمعوا إلى التقرير الذي يعلن أن الطـــرفين أصـــبح يجمعهمـــا دم واحد[1].

وكان بعض رؤساء القبائل والقادة يستفيدون من تلك الطقوس لضمان أقصى قـــدر مـــن الولاء ومن التفاني في الخدمة من جانب أتباعهم، ويتم ذلك عن طريق الدخول في ميثاق دم مع كل واحد منهم، بحيث يصبح أخاً له[2].

الدم والطقوس الدينية

دخل الدم في الطقوس الدينية عند كثير من الشعوب، فقد احتفل الفراعنة برأس السنة في موعد فيضان النيل، باعتبار هذا النهر مصدر خصب أرض مصر، وهو الـــذي يجلـــب الخيـــر والسعادة لأصحابها، فكانوا ينظمون احتفالاً بهذه المناسبة، يقدمون فيه القرابين للإلهة إيزيس عند الفجر، ويسير في الموكب الملك والملكة والحاشية وكبار رجال الدولة ورجال الدين، ويطوفـــون في المدينة على أنغام الأغاني الراقصة والأناشيد ابتهاجاً باليوم السعيد، واحتراماً للنهر مصـــدر الحياة[3].

كما كان اليهود في أول يوم من أيام عيد الفصح، يذبحون حمـــلاً أو جـــدياً، ويأكلونـــه ويرشون دمه على الأبواب، إشارة إلى أن هذا الدم هو نصيب الإله، ثم ربط الكهنة فيما بعد هذه العادة بعادة قتل (يهوه) لأبناء المصريين البكر[4].

وارتبط العيد الفينيقي بتحول مياه النهر كل سنة إلى لون أحمر قـــان كالـــدم، واعتقـــد الفينيقيون أن الصبغة القرمزية هذه هي دم أدونيس [5]، وقد كان أدونيس شاباً يافعاً مولعاً بالصيد والقنص، وقعت في حبه أفروديت، وأهملت حياتها كإلهة وانصرفت له، وتركت الاولمـــب مـــن

([1]) الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، 576/2

([2]) المرجع السابق، 576/2

([3]) منصور، جوني: **الأعياد والمواسم في الحضارة العربية**، ط1، حيفا: 1988، ص 15

([4]) ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، مجلد 5، 319/1

([5]) فريزر، جيمس: **تموز أو أدونيس** (دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة)، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، (د. ط)، بيروت: دار الصراع الفكري، 1957، ص 146

أجله إلى أن جاء يوم هجم عليه خنزير بري وضربه في فخده، فنزف حتى المــوت، وســمعت أفروديت صرختـه فعادت إليه ووجدته يلفظ أنفاسه الأخيرة، وصبّت على دمــه رحيــق زهــرة عطرة بيضاء، تحولت إلى حمراء مع دمه، وانتشرت حوله، وهنّ زهور شقائق النعمان الواهية الساق، القصيرة العمر[1].

وكان الفينيقيون يأتون إلى الحفل وقد أخذوا زينتهم، كأنهم في يوم عيد، وكانــت دقــات الطبول وأصوات المزامير تطغى على صراخ أطفالهم، وهم يحترقون في حجر الإله، على أنهم كانوا عادة يكتفون بتضحيات أقل من هذه وحشية، فكان الكهنة يضربون أنفســهم حتــى يُلطــخ المذبح بدمائهم[2].

واحتفل اليونانيون ببعث الإله آتيس، وفي اليوم الثاني، وهو اليوم المعروف بيوم الــدم، تبدأ طقوس الدم، حيث يستهل كبير الكهان الخصيان الطقس بأن يحدث جرحاً كبيراً في ذراعــه بطريقة خاصة، تجعل الدم ينبثق منها كالنافورة، ثم يتبعه بقية الكهان الذين يسقون بما يفيض من دمائهم جذع الشجرة المنصوب الذي يمثل إلهة الطبيعة، الأم سيبيل، وفيمــا تعــزف الموســيقى ألحانها المجنونة التي تدفع الكهان والمحتفلين إلى رقص وحشي ينسون فيه أنفسهم وإحساســهم بأجسادهم[3].

وكان من أبرز طقوس العبور إلى الأسرار الآتيسية، طقس العماد بالدم، حيــث يــؤتى بالمريد الجديد، وينزل إلى حفرة تغلق فوهتها بألواح من خشب، ثم يؤتى بثــور فينحــر فــوق الفوهة المغطاة، ويترك دمه ينثال من شقوق الألواح فيتلقاه المريد، ثم يخرج وقد غطاه الدم مــن رَأسه إلى قدميه بين تهليل أقرانه وصلواتهم، فلقد غسل بدم الثور خطاياه الماضيات، وولد مــن جديد بعد موته (الرمزي)، وبعث حياً في آتيس[4].

([1]) الماجدي، خزعل: **المعتقدات الإغريقية،** ص 115، 117

([2]) السواح، فراس: **لغز عشتار**، ص 319

([3])المرجع السابق، ص 237

([4]) المرجع السابق، ص 154

أما طقوس ديونيسيوس فقد كانت تقام في عيده الذي يصادف في الربيع، فخلال الطقوس كان المشتركون يأتون بثور يمثل الإله ديونيسيوس نفسه، فيمزقونه حياً، ويـــأكلون لحمـــه نيئـــاً ويشربون دمه معبرين بذلك رمزياً عن رغبتهم في الاتحاد بالإله القتيل، بوساطة أكــل جســده وشرب دمه[1].

وحملت المعتقدات اليونانية في ثناياها أسطورة مفادها أن (أبولو) كان ناجحاً في الحرب، إلاّ أنه كان شقياً في الصداقة والحب، وكان له صديق من بني الإنسان اسمه (هســنيش)، وذات يوم كانا يلعبان لعبة رمي الحلقة إلى عود منصوب لتسقط فيه، وبينما هما كذلك إذ مــرّ بهمــا (زفيروس) إله الريح الغربية، فأحس بالغيرة، لأنه كان مغرماً بالفتى، فدفع حلقة أبولو بشراســة فأصابت صديقه وألقت به إلى الأرض، ولفظ (هسنيش) أنفاسه الأخيرة بين ســاعدي صــديقه، ومن أجل أن يحتفظ أبولو بذكرى صديقه الميت، فإنه حول قطرات الدم إلــى مجموعــات مــن الزهر سميت من ذلك باسم الفتى (سوسن)[2].

كذلك نجد في الميثولوجيا اليونانية أن البطل نصف الإله بيرسيوس قد قتل المرأة الأفعى ميدوزا، وأعطى دمها لأسكليبوس، الذي جمع دماء أوردتها اليمنى في إنــاء، ودمــاء أوردتهــا اليسرى في إناء آخر، فكان بدم الجهة اليمنى يشفي، وبدم الجهة اليسرى يعطي السم القاتل[3].

وكان من طقوس الاحتفالات بأعياد الدروع والتروس عنــد الرومــان، أن يضــحى ل (مارس) بحصان البطل في الحرب الذي يستخدم دمه في الطقوس السحرية للخصــب، ويتقبــل الإله التضحية بالخنزير، والشاة، والثور من أجل رخاء الأرض ووفرتها[4].

وكان الأستيك الأمريكيون يقيمون (عيد المكنسة) في الخريــف علــى شــرف الإلهــة تيتيونيان، وكان هذا في الوقت عينه احتفاء بموسم جني محصول الذرة، وارتبط اسم العيد بكون

([1]) السواح ،فراس :**لغز عشتار**، ص 333

([2]) غويربر، **أساطير الإغريق والرومان**، ترجمة حسني فريز، (د. ط)، عمان: دائرة الثقافة والفنون، 1976، ص 41

([3]) السواح، فراس: **لغز عشتار**، ص 154

([4]) بارندر، جفري:**المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة عبد الفتــاح مكــاوي، (د. ط)، عالم المعرفة، 1978، ص 74

المكنسة أحد رموز الإلهة التي تنظف بها الأرض، وأثناء الاحتفال بالعيد كانوا يختارون امـــرأة في الأربعين أو الخامسة والأربعين ويعلنونها أماً للإلهة وحارسة لتيتيونيان.

وبعد منتصف الليل ترتدي تيتيونيان أبهى حللها وتتوجه إلى ساحة المعبد، ويقدم الكهنـــة المرأة ذبيحة لها، ثم يمضي الكهنة إلى معبد آخر، فيخرج للقائهم جنود يحملون مكانس ملطخـــة بالدماء، كأنهم جاهزون للمعركة، وتلحق بهم كاهنة ترتدي جلد المـــرأة الضـــحية، تمثـــل دور الإلهة، ويجتمع الموكب كله في معبد إله الشمس، فتتجه الإلهة صوب صورته وتلد من جديد إله الغلال سينتيوتل[1].

كما يمكننا متابعة الطقوس الدموية (المازوكية) في أعياد الأم الكبرى (عشتار) في أمكنة وثقافات متعددة، وكان المحتفلون يباشرون لطم خدودهم، وضرب أنفسهم، وإيذاء أجسادهم بمـــا تصل إليه أيديهم من أدوات جرح وتقطيع وتمزيق ثيابهم، حتى تسيل الدماء من أجسادهم [2].

الدم والعادات والتقاليد

في قرية من قرى غرب إفريقيا، كان مدخلها يسدّ بحاجز خفيـــف مؤقـــت، ولا يســـمح بالمرور من هذا الحاجز إلاّ عن طريق بوابة ضيقة، لأنهم يعتقدون أن هذا الحاجز يحـــول دون دخول الأرواح الشريرة داخل القرية، وغالباً ما يسكبون على البوابة دم نعجة أو شاة تقدم ضحية لهذا الغرض[3].

وفي شرق إفريقيا، كانت قبائل كثيرة تسكب دماء الحيوانات على الأشجار تقديساً لهـــا، فقد كان سكان قبيلة جالا يسكبون دماء حيواناتهم عند سفح أشجارهم المقدسة حتى لا تذبل وفـــي بعض الأحيان يطلون جذعها وفروعها بالدم والزبد واللبن، أما الأشجار في مرسيليا فقد كانـــت تغسل بدماء الشخص الذي يقتل ضحية لها[4].

([1]) ألبيديل، م.ف: **سحر الأساطير**، ص 89

([2]) السواح، فراس: **لغز عشتار**، ص 319

([3]) فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، 76/2

([4]) المرجع السابق، 151/2

وفي جنوب السودان يصاب القاتل بنجاسة شعائرية تستتبع حظر بعض الأفعال عليـــه، ولكي يتخلص من هذه النجاسة لا بد من تطهيره، ويقتضي التطهير بعض الإجراءات الخاصـــة، فلا ينبغي له أن يأكل أو يشرب حتى يقوم الزعيم لابس جلد الفهد بإسالة دمه...وليس للقاتـــل أن يحلق راسه، كما أن بيته وزريبته يوصدان، وتتضمن شعيرة التطهير قيام الزعيم بـــذبح عجـــل كقربان، وبعد أداء هذه الشعيرة يصبح القاتل في مأمن من المخاطر الروحيـــة التـــي يســـتتبعها القتل[1].

وكذلك الحال بالنسبة لدى محاربي الجالونج (في جبال الهمالايا في الهند)، فبعد عودتهم من الغزو يخضعون لبعض المحظورات لمدة ثلاثة أيام، فلم يكن لهم الذهاب إلى حقولهم، كما لم يكن لهم تناول طعام أعده غيرهم، ولم يكن يسمح لهم بتناول السمك فيما عـــدا بضـــعة أنـــواع فقط[2].

وعند بدو شرق الأردن ما يسمى (بفورة الدم) فعندما يأتي الخبر بوقـــوع حادثـــة قتـــل يسارع رجال المضرب إلى حمل سلاحهم، وإذا كان القاتل عربياً غريباً لوحق وقتل إذا قـــبض عليه، ولن يعفى عنه مطلقاً إلا إذا احتمى بشخص قادر على حمايته. ويسمح العرف بثلاثة أيـــام لفورة الدم بعدها يجب اتباع الإجراء العادي. لكن القاتل يقع دائماً تحت وطأة الثأر فحينما يُعثـــر عليه، تعرض لضربة قاتلة ولو كان في حمى أقوى الشيوخ. وإذا أفلح القاتل في الهـــرب مـــن فورة الدم، فلديه عدة وسائل لفداء نفسه وعليه أن يتخذ المساعي الأولى لدى أقـــارب ضـــحيته، فيرسل مبعوثاً يطلعهم على قراره (لقد وقعت مصيبة، لقد سفك دم، لكنني أطلب السلم).

ومن النادر قبول هذا الاقتراح الأول، (الدم يطلب دماً)، هكذا يجيب ولـــيّ الـــدم، فهـــو يتذكر القرار الذي اتخذه وقت أن رأى القتيل وليس به حراك، غارقاً في دمه، لقـــد قطـــع كُـــمْ (رِدْن) قميصه وغمسه في الجرح ليصبغه بالدم، ورفعه في أعلى حربة لكي يعلن للجميـــع أنـــه يأخذ الثأر على عاتقه، ويُطلب منه الآن أن يقبل مبلغاً من النقود مقابل روح حية؟ مطلقاً !!![3]

([1]) زناتي، محمود سلام، **من طرائف العادات و غرائب المعتقدات**، (د. ط)، النسر الذهبي، 1996، ص 86

([2]) المرجع السابق، ص 86

([3]) المرجع السابق، ص 62، 63

وفي الأوساط الشعبية كان إذا جرح أحدهم، فإنهم يقومون بمص دم الجرح النازف وابتلاعه، اعتقاداً منهم أن الدم بهذه الطريقة لا يذهب إلى خارج الجسم ولا يخسره صاحبه إذ إن الدم في هذه الحالة يخرج من العضو المجروح ليعود عن طريق امتصاصه إلى الجسم ثانية، وبذلك فإن الإنسان (لن يفقد) من دمه شيئاً[1].

وقد يلتقي المرء بأحد أقاربه المقربين مصادفة، بعد غياب طويل، ولا يعرف أحدهما الآخر من قبل وبالرغم من ذلك، فإن كلّا منهما يعتريه نوع من الشعور الخفي تجاه الآخر، بأن هناك رابطة دم قوية بينهما، وهم يفسرون هذه الحالة بقولهم: (الدمّ بحن)، وقد يختلف أحدهم مع أحد أقاربه، ويحقد أحدهما على الآخر، وفجأة ولسبب ما، يتصالحان ولو بعد حين، وهم يفسرون هذه الحالة بقولهم (الدم عمره ما بصير ميّ)، أي أن الدم لا يمكن أن يكون ماء، وحنين المرء ومشاعره لا يمكن أن تموت إلى الأبد، كما يقولون في هذا المجال: (الدم عمره ما بصير سمّ)[2].

كما أن الدم عندهم رمزٌ للخجل والحياء، ويظهر ذلك في حالة الخجل، وهم يخاطبون المرء الذي يرتكب المخازي، أو تحدثه نفسه بارتكابها، بقولهم: (خلّي عندك دم)، أو (خلّي عندك شوية دم)[3].

كما يعتبر الدم علامة للصحة والعافية، إذ (طفح) به خدّا المرء، وهم يصفون مثل هذا الشخص بقولهم: (الدم رايح ينط من وجهه)، أي يكاد الدم يقفز من وجهه من فرط صحته، وللدم عندهم حالات وصفات، فالمرء (دمه بارد)، إذا كان بليداً بطيء الحركة، لا مبالياً، وهو (دمه حامي) إذا كان في ريعان صباه، وفي عنفوان شبابه، و(دمه ثقيل) و (دمه زنخ) و (دمه ما يطيح من الغربال) إذا كان ثقيل الوطء، لا يطاق، و (دمه خفيف)، إذا كان مرحاً خفيف الظل،

([1]) الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية**، ص 258

([2]) المرجع السابق، ص 256

([3]) المرجع السابق، ص258

و(قاعد بلعب على دمّاته)، إذا دخل مداخل الهلاك، و (لقمته مغمسة بالدم)، إذا كان فقيراً يسعى وراء لقمة عيشه فيتعثر خلال ذلك ويصيبه الأذى والضرر باستمرار[1].

وكان الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني إذا جرح طفل، يمتص أصدقاؤه بعض النقط من دمه، وعن طريق الدم يمتلك الإنسان قليلاً من روح الطفل، ويصبح بذلك قريباً وحتى أخا.[2]

الدم وطقوس الزواج

كذلك كان للدم حضوره الفاعل في طقوس الزواج عند قبائل كثيرة، من ذلك مـــا نجـــده عند قبيلة (براهويس) في بلوخستان، فقد كانت العروس التي تنتمي إلى الطبقة الشعبية الموسرة، تجلس في محفة على جمل، بينما يسير الزوج بجانبها ممتطياً حصاناً، وذلك حتى لا يسير كـــل منهما سيراً مجهداً على الأقدام، فإذا وصلا إلى بيت العروس تذبح شاة عنـــد العتبـــة، وتعبـــر الزوجة فوق الدم المنسكب، بحيث يترك الدم علامة على أحد نعلي حذائهما، ثم يؤخـــذ بعـــض الدم، ويوضع في فنجان، وتغمس فيه حزمة من الأعشاب، ثم تدهن أم العريس جبهة العـــروس بالدم، وهي تخطو فوق العتبة[3].

ويحدث مثل هذا في احتفالات الزواج في (ميهاردة) في سوريا، إذ تذبح شاة خارج باب البيت، وتعبر العروس فوق الدم في أثناء انسكابه من الحيوان، ويبدو أن هذه العادة منتشرة بـــين اليونانيين والبروتستانتيين[4].

وفي مصر يذبح الأقباط شاة عند دخول العروس بيت العريس، ويتحتم عليها أن تعبـــر فوق الدم المنسكب على العتبة عند مدخل البيت[5].

([1]) الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية،** ص 258

([2]) المرجع السابق، ص 257

([3]) فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم،** 84/2

([4]) المرجع السابق، 84/2

([5]) المرجع السابق، 84/2

كما كانت لدى بعض قبائل الجزائر طريقة خاصة لإتمام الزواج يلعب فيها ذبح جـدي على عتبة بيت العروس دوراً حاسماً، ويسمى هذا الزواج بزواج الجدي، وعقد الزواج لدى هذه القبائل يصبح نهائياً بذبح جدي ينثر دمه على عتبة الباب، وطالما أن هذا الإجراء الشـكلي لـم يتخذ، فإن الزواج لا ينعقد، وبعد اتخاذه يصبح الزواج مكتملاً، ولو لم يتم الاتفاق علـى جميـع شروط العقد، وكان الراغب في الزواج الذي رفض طلبه، أو غير قادر علـى تـوفير المهـر المطلوب يدعو أصدقاءه لمعاونته في التغلب على هذه الصعوبة، فكانوا يقتربون من بيت الفتاة، مستعينين بأكبر قدر من التخفي، وفي صحبتهم جدي، وينتهزون لحظة مناسبة لكي يندفعوا إلـى مدخل البيت، ويذبحوا الجدي، رغم الضربات والتوبيخ وبمجرد أن يسيل الدم على العتبة يعتبـر الزواج قد انعقد[1].

وفي عادات الزواج الفلسطيني، يذبح جدي أو دجاجة أو زغاليل على مقدمة السيارة قبل أن تنزل منها العروس.

ولا ننسى في هذا السياق علاقة الدم بالولادة، فالمولود يأتي إلى الحياة مع تـدفق الـدم ويكون ملطخاً به، بل كانت بعض القبائل تلطخ المولود بدم الشاة، لمنحه فرصـة أطـول فـي الحياة[2].

الدم والسحر

وفي مجال السحر يذكر أن تمائم الشرّ تكتب بالدم، وأحياناً تكتب تمائم الحب بالـدماء لا سيما دماء الطيور[3].

كما أن الأشياء التي يستخدمها الساحر في عمله كلها أشياء مقدسـة أو تمـائم، وتكـون مشحونة بقوة عالية جداً، وكانت هذه الأشياء في الماضي تكتسب قوتها أو قدسيتها العاليـة مـن

([1]) زناتي، محمود سلام: **من طرائف العادات وغرائب المعتقدات**، ص 157، 158

([2]) أبو عون، أمل: **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، شعر المعلقات نموذجاً (رسالة ماجستير غير منشـورة)،بإشـراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية،نابلس،فلسطين، 2003، ص 17

([3]) يوسف، عمرو: **حقائق مثيرة عن السحر**، (د. ط)، مصر: المركز العربي للنشر والتوزيع، (د. ت)، ص 29، 30

تلامسها مع دماء الأضحيات البشرية التي تحولت فيما بعد إلى أضحيات حيوانية تنحر من أجل أن تنتقل القوة المقدسة من دمائها إلى مادة التميمة[1].

كما كان السحرة في اجتماعاتهم مع عمدتهم يذبحون الحيوانات، وينثـرون دمهـا فـي الهواء، وكانوا يلطخون أنفسهم بهذا الدم، كما يقوم العمدة بذبح طفل بريء، ويرش دمـه علـى السحرة وذلك لتعميدهم، وكانت الساحرات يكتبن العهد مع الشيطان بدم الحيض، والسحرة مـن الرجال يكتبونه بدم القرابين [2].

وفي مجال استخدام الدم في السحر، نجد أيضاً أن الشخص الذي يريق الدماء يكون قـد أدى ما عليه من واجب، وفدى نفسه للآلهة، فهو لن يتعرض لبطشها، ويدلنا على ذلك أن الإلـه (يهوه) طلب من اليهود أن يميزوا بيوتهم بالدم (دماء الخرفان) كي لا يهلكوا مع المصريين[3].

وكان الهندوس يمارسون السّحر للعلاج من مرض الصفرة أو اليرقان، وكانت الفكـرة الرئيسة تقوم على أساس نقل الصفرة من المريض إلى الشمس الصفراء اللـون، حيـث يقـوم الساحر بحقن المريض بدم ثور أحمر، ومناولته ماءً ممزوجاً بشعر ثور أحمر وجعله ينام علـى جلد دب أحمر، ويتلو الساحر رقية [4].

وفي جنوب كردفان بالسودان تذبح الخنازير والأبقار كنوع من القربان، بغيـة سـقوط الأمطار، ففي جبالLafofa ، يتجه الناس إلى بيت الكجور صانع الأمطار، حيث يقدمون إليـه خنزيراً ضخماً، ليصفى الدم في إناء بعد ذبحه ثم يلمسه بإصبعه ويمسح بـه عينيـه ورقبتـه، ومناطق أخرى من جسمه، ثم يؤخذ الإناء خارج الكوخ ناثراً الدم في الهواء تجاه السماء، مناشداً الإله أن يسقط عليهم المطر، وفي مناطق أخرى يذبحون إلى جانـب الخنزيـر بقـرة سـوداء وينثرون الدم في الهواء أيضاً[5].

---

(1) الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ط 1، لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع،1998، ص 48

(2) كريم، سيد: ***السحر والسحرة عند قدماء المصريين***، مجلة الهلال، ع1، يناير،1975، ص 62

(3) إسماعيل، فاروق: **الوثنية مفاهيم وممارسات**، (د. ط)، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985، ص147، 148

(4) الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص 41

(5) إسماعيل،فاروق:**الوثنية مفاهيم وممارسات**، ص124

وفي بعض القبائل توخز الفتاة إصبعها الصغيرة ليدها اليسرى بإبرة، ثم تمسح دمها في شعر فتاها، ومن ثم لا يقوى على التفكير في غيرها، أما المرأة الغجرية فـي جنـوبي المجـر ورومانيا، فتحدث جرحاً بين السبابة والإبهام لليد اليسرى، ثم تدع الدماء تنهال في وعاء صغير، ثم تدفن هذا الوعاء أسفل الشجرة، لمدة تسعة أيام، ثم تخلطه بلبن حمار ثم تشرب الخلـيط قبـل النوم، وتتلو رقية سحرية تدور حول (أرواح ثلاث)، الأولى تبحث عن الـدم، والثانيـة تجـده، والثالثة تشكله أو تصوغه في صورة طفل جميل[1].

وفي بعض أنحاء العالم يعتقد الناس أن الدم يكسب السحرة القدرة على إيذاء الآخـرين، فالساحرة تعجز عن إيقاع الأذى إذا استطاع المرء أن يفصد قطرات دم من جسـمها، وكانـت النساء في الوسط الشعبي الفلسطيني يعتقدن بأنه إذا وضعت امرأة بعض النقط مـن دمهـا فـي شراب لزوجها الذي يحبها، فإن حبه لها يتصاعد، وبالرغم من عدم منطقية هـذه الممارسـة إلا أنها تشير إلى اعتقادهم بأن هناك قوة سحرية تكمن في دم الإنسان[2].

كما دارت حول الدم مجموعة من الأفكار والطقوس والممارسات السحرية، منها انتشار عادة شربه عند بعض الشعوب، فنجد الأسرة تعطي دم الأب الذي يتميز بشجاعة فائقـة لابنـه، ليجعله في مثل شجاعة أبيه، كما يطعمون الطفل المريض الضعيف دم طفل آخر صحيح سـليم البنية، ليكتسب نفس قوته وصحته، ويحرص الرجال في ساحة المعركـة علـى شـرب دمـاء الأبطال الذين يسقطون في القتال سواء من أصدقائهم أو أعدائهم، لكي يضيفوا إلى قـوتهم قـوة البطل الصريع وعظمته وشجاعته، ويحرص أبناء بعض قبائل سكان استراليا الأصـلية علـى شرب دم محاربيهم الذين يتميزون بالشجاعة قبل خروجهم إلى المعركة [3].

وبالمثل يعمد أبناء بعض المجتمعات إلى أكل دم بعض الحيوانات ولحمها لكـي تنقـل خصائص تلك الحيوانات وقدراتها إلى الأفراد الذين يأكلونها، فقد كان الصيادون النرويجيـون

---

(1) إسماعيل،فاروق:**الوثنية مفاهيم وممارسات**، ص 124

(2) الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية**، ص 255

(3) الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، 570/2

في الماضي يعمدون إلى شرب دم الدببة ليحصلوا على قوة الدب، وما زال أبناء شعب الهوتنتون (في إفريقيا) يشربون دم الأسود ليحصلوا على شجاعة الأسد[1].

قوة الدم

اعتقد القدماء بوجود قوة حيوية في الدم[2] ويعود هذا الاعتقاد إلـى العقيـدة الفتيشـية تحديداً، وهي أول عقيدة مادية آمن بها الإنسان، وجاءت من خـلال تصـور سـحري للعـالم والأشياء، والعالم الفتيشي الأولي المليء ببؤر ونقاط مقدسة محاطة بعالم مدنس، وتشع من هـذه النقاط قوة الكون، ويستطيع الشامان (الساحر البدائي) تحريك العالم بوسـاطة الفتـيش، بحيـث تصبح القوة الخفية هنا، في نفس الساحر وفي الشيء، ولعل هذا هو الذي أوجد نظام التحـريم، أو التابو اللامساس، الذي يعني في جوهره عدم التقرب من المقدسات، وكان الطوطم أكبر هـذه المقدسات[3].

فقد اعتقدوا أن الطوطم يتجسم في كل فرد من أفراد القبيلة، وأنه يحـل فـي عناصـره الدموية على الأخص، لذلك اعتبر دم كل واحد منهم من أهم الأشياء المقدسة، وأعظمها حرمـة وأحقها بالإجلال فكان لمسه وقربانه محظورين، وخطراً تاماً على جميع أفراد العشيرة[4].

وفي المناطق الواسعة التي انتشرت فيها ثقافة النياندرتال، كانت تقام شعائر دفن خاصة، فقد كان الإنسان هناك يقوم بطلاء أجساد المتوفين وجدران قبورهم بمادة حمراء تشبه لون الدم، للإيحاء رمزياً بطاقة الحياة، وربما كان النياندرتاليون يقيمون وليمة جنائزية عند الدفن، يـأكلون فيها لحوم حيوانات القربان المقدم للآلهة، ويتركون بعضها للتوأم الذي يستعد لرحلته الطويلـة،

([1]) الجوهري، محمد: **علم الفولكلور**، 2 /571

([2]) السواح، فراس: **دين الإنسان** (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، ط 4، دمشـق: دار عـلاء الـدين للنشـر والتوزيع والترجمة، 2002، ص 128

([3]) الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص 48

([4]) وافي، علي عبد الواحد: **الطوطمية أشهر الديانات البدائية**، سلسلة إقرأ (194)، القاهرة: دار المعـارف، 1995، ص 63

فقد كان في اعتقادهم أن دماء الحيوانات المذبوحة عند الدفن تطلق طاقة من نوع خاص، تعين التوأم الروحي للمتوفى على عبور البرزخ الفاصل بين العالم المادي والعالم الموازي[1].

أما في الأسطورة السومرية فنجد ما يسمى (بلعنة الدم) أو (ضريبة الدم) حيث حولت إحدى الإلهات جميع آبار البلاد بأكملها إلى دماء بسبب خطيئة ارتكبها إزاءها أحد البشر، ففي يوم من الأيام اضطجعت الإلهة إنانا بعد عبورها السموات والأرض لتريح جسدها المتعب غير بعيد من بستان شوكالتيودا، وينتهز هذا الآخير الذي تجسس عليها من طرف بستانه فرصة تعب إنانا الشديد فيجامعها، فلما أقبل الصبح وأشرقت الشمس، نظرت إنانا من حولها في فزع وعزمت على أن تتصيد بأي ثمن ذلك الإنسي، الذي أساء إليها، وهي بذلك ترسل ثلاث كوارث على سومر، أولاها أنها تملأ كل آبار الأرض بالدم، بحيث تشبعت مزارع النخيل والكروم بالدم، والثانية أنها ترسل على الأرض رياحاً وزوابع مدمرة، والثالثة لعنة الوباء[2].

وكان الناس عندما يريدون ماء لا يجدون سوى الدم، وكان ذلك كي يخرج الفلاح من مخبئه ولكن ذلك لم يحصل[3].

(إنانا من أجل عورتها لا بدّ أن تفعل كل شيء مضر، ولا بد أن تدمر كل شيء، لقد قررت أن تملأ جميع آبار البلاد بالدم، وبكلمة منها امتلأت الآبار والأحراش والبساتين بالدم، لقد صار العبيد حين يذهبون إلى الاحتطاب لا يشربون إلا الدم، والإماء إذا ما جئن للتزود بالماء لا يملأن جرارهن إلا بالدم)[4].

ولعل ضريبة الدم تلك هي المقصودة في الآية القرآنية الآتية:

([1]) السواح، فراس: **دين الإنسان**، ص 128

([2]) كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعة د. عبد المنعم أبو بكر، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972، ص 96

([3]) الماجدي، خزعل: **متون سومر**، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، ط 1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998، ص 240

([4]) الماجدي، خزعل: **إنجيل سومر**، (د. ط)، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998، ص 161، 162

(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين)[1].

كما أن الدعاء المتمثل لدى النساء في الوسط الشعبي الفلسطيني، بقولهن:(دم يضربك)، مرتبط بشكل أو بآخر بهذه الفكرة، (ضريبة الدم)[2].

أما الدماء عند المصريين القدماء فهي مسار الروح والطاقات الحيوية، فمن دماء رع المنسابة خلق كل من (حو، وسا)، أما شجرة الأرز فقد أينعت ونبتت من دماء حب وعندما كان حورس إله الشمس يشرب بعض النبيذ كان من المعتقد أنه يتجرع دماء خصومه، أعداء الضياء، أي أنه يجردهم تماما من سطوتهم وقواهم[3].

ونذكر هنا هذه التعويذة السحرية، التي تناجي دم إيزيس لما فيه من سحر وقوة يادم إيزيس... ويا سناء إيزيس....وقوة إيزيس السحرية ويا تميمة تحمي هذا الرجل العظيم، حذار من أن تأتي ضرراً يصيبه....فقد كانت إيزيس من دون جميع الآلهة الآخرين ربة السحر التي اشتهرت بوصفها عظيمة في كلمات السّحر[4].

كما كان نوع من الدماء مدعاة للتشاؤم عند كثيرين كدم الحيض والنفاس، لأنه مشحون بقوة خطرة ينبغي عدم السماح لها بالانتقال إلى الآخرين[5] .وهناك اعتقاد عام لدى كثير من الشعوب بأن دم الحيض إنما هو نتيجة عضة ثعبان أو سحلية، أو أي حيوان آخر، أو ربّما عضة روح شريرة، وهو في نظر العقلية البدائية ظاهرة شاذة، ومن ثم يتوجب خشيته بسبب مزدوج، أولاً لأنه دم غير طبيعي، ثم لأنه دم امرأة [6].

([1]) **الأعراف**: 133.

([2]) الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية**، ص 171.

([3]) تيبو، جاك روبيد: **موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية**، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، ط 1، 2004، ص 147

([4]) عبد الصمد، محمد كامل: **عادات ومعتقدات في العصور القديمة**، ط 1، القاهرة: مكتبة الدار العربي للكتاب، 1995، 331/1

([5]) السواح، فراس:**دين الإنسان**، ص 74

([6]) الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية**، ص 258

فعند السومريين والبابليين كانت العاملات يتحررن من الأعمال الصعبة في فترة العـــادة الشهرية، وقد عدت المرأة غير طاهرة، كما أطلق عليهن اسم (يخيمي)، وسميت أيام العزلة، أي الأيام التي قضتها اليخيمي في غير العمل[1].

كما كانت المرأة العراقية خلال فترات الحيض والنفاس تمتنع عن صنع الطعام، فإذا كان الخبز قد أعدته امرأة غير نظيفة، فإن الرجل لن يأكل منه، والمقصود بعدم النظافة هنا هو فترة الحيض والنفاس[2].

ولدى قبائل استراليا يمنع على النساء في فترة الحيض، وتحت وطـــأة المـــوت لمـــس مايستعمله الرجال، أو أن تمشي في درب يطرقونه، وقد سجل أحد الإنثربولوجيين واقعة مفادها أن أحد الرجال عمد إلى قتل زوجته فور اكتشافه أنها قد تمددت على حصيرته وهي حـــائض، وتخضع النساء أيضاً إلى تحريمات مشابهة خلال فترة الولادة والنفاس، فتعزل المرأة تماماً حتى انتهاء فترة نفاسها، وكل ما تستعمله أثناءها يمنع لمسه أو استعماله، حتى من قبلهـــا بعـــد زوال التابو عنها[3].

وعند معظم قبائل أمريكا تعزل الفتاة حتى يأتيها الحيض الأول في كوخ، ويمنـــع علـــى أحد من الذكور رؤيتها خلال فترة كافية لتطهيرها، ثم تلزم بعد ذلك تغطية وجهها لمدة محـــددة بعد خروجها من معتكفها [4].

وعند الهنود الحمر قديماً كانت الفتاة تتعرض لطقوس التكريس منذ أول حيضـــة لهـــا، حيث تحبس في كوخ لمدة محددة يمنع عليها أثناء ذلـــك رؤيـــة الـــذكور خـــلال فتـــرة كافيـــة لتطهيرها[5] .

ومن الممارسات الشائعة في كثير من الثقافات عزل المرأة طوال فترة الحيض، فهنـــاك بعض القبائل التي تحبس الحائض في قفص فوق الأرض بحيث لا يلامسها أي شيء، إذ يعتقـــد

---

(1) دياكونوف، ي. م: **تاريخ الشرق القديم**، مراجعة محمد العلامي، ط 1، فلسطين: دار أسامة للنشر والتوزيع، 353/1

(2) سليم، أحمد أمين: **دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم**، ط 2،الإسكندرية: مكتبة البستان،2004،ص213

(3) السواح، فراس:**دين الإنسان**،ص79

(4) المرجع السابق، ص79

(5) المرجع السابق، ص74

أن خروج المرأة الحائض من عزلتها هذه يمكن أن تلحق بجماعتها من المشكلات والكوارث ما يعوق سير الطبيعة نفسها ويهدّد الكون بأجمعه[1].

وفي المسيحية فإنه لا يمكن لأي امرأة مسيحية، وهي في فترة حيضها مرافقة جوقة الترتيل في أي كنيسة شرقية، وكان لدم الحيض صفة سحرية وقدرات أسطورية.[2]

وفي الإسلام يعتبر دم الحيض من الأمور المؤذية، وكذلك التعامل معه لقوله تعالى: (ويسألونك عن المحيض، قل هو أذى).[3]

وفي الوسط الشعبي الفلسطيني كان الناس_ وما يزال كثير منهم_ يعتقدون أن المرأة الطامث (التي عليها العادة)، وسخة ونجسة، وهم يرون أن فاطمة الزهراء، ابنة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – قد امتنعت عن الدخول إلى حجرة نوم والدها، في فترة حيضها، بسبب وجود بعض حبات القمح عند العتبة، خشيت أن تخطو من فوق تلك الحبوب المقدسة، وحتى يومنا هذا، لا تدخل امرأة أيّ مزار، أو تخطو فوق أيّ شيء مقدس في فترة حيضها [4].

وحتى الآن، ما يزال كثير من الناس في الوسط الشعبي الفلسطيني، يحظرون على المرأة الحائض أن تعجن العجين، أو أن تزور امرأة نفساء كي لا يحدث أذى ما، أو ضرر للمولود أو لأمه، كما يحظر على المرأة الحائض ممارسة أعمال أخرى عديدة في بيتها.

أما في الأوساط الشعبية المصرية، فتوصي المرأة الفتاة المراهقة عند أول حيض، باحتضان نخلة أو زير، والفكرة من وراء ذلك أن تسمن ويتضخم لحمها، كما يعتقد أنه إذا مرت الحائض في مزارع الباذنجان أحرقتها، ومن القيود المفروضة على الحائض ألا تشارك في عجن العجين، أو في عمل بعض أصناف الطعام، كما أنه لا يصح أن تدخل على شخص مريض بعينيه، لأنها إن فعلت ذهب بصره[5].

---

(1) الجوهري، محمد: **علم الفلكلور**، 270/2

(2) الباش،حسن؛ السهلي،محمد: **المعتقدات الشعبية**،ص257

(3) **البقرة**: 222

(4) الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية**، ص 257

(5) الجوهري، محمد: **علم الفلكلور**، 571/2

المبحث الثَّاني

الدّم في الموروث الجاهلي

لم يبتعد اعتقاد العرب بقدسية الدم في الجاهلية عن اعتقاد الأمم الأخرى.

كان من اللازم على الإنسان التودد إلى الآلهة بشتى الطّرق المعبرة عن معاني التّقــرب والتّحبّب والتّعظيم لتتذكره، فتمن عليه بالبركة والسّعد، وبخير ما يشتهيه ويرغب فيه، وقد كــان للقرابين والشّعائر العملية المقام الأول في دياناته، لأنها ملموســة، تراهــا الأعــين وتــدركها الأبصار[1].

وقد اعتقد الجاهليون أن تعظيم الآلهة لا يكون إلاّ بالذّبح، فهو من تقوى القلوب، وهــو الشّعار الدّال على الإخلاص في الدّين وعلامة التّعظيم عندهم.

وقد كانوا يريقون دم الضّحية على الأنصاب وهي موضوعة في الكعبة، و يؤكدون على تلطيخ الصنم الذي يذبح له بشيء من دم الضّحية، ليحس بالدم فوقه[2]. وبالتّالي ينتقل دم الضّحية الحار إلى المعبود الذي يكتفي به، ويهدأ غضبه ويرضى عنهم[3].

وكان لطيء صنم يقال له الَفلْسُ، وكان أنفاً أحمر في وسط جــبلهم، وكــانوا يعبدونــه ويهدون إليه[4].

ومن النّذور والقرابين الحيوانية ما ذكره القرآن الكريم والحديث الشّريف مــن البحيــرة والوصيلة والسائبة والحامي[5]والفرع والعتيرة[6].

([1]) علي، جواد: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**،ط1993،1، 61/4

([2]) المرجع السابق، 202/6

([3]) الحوت، سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ط1، بيروت: مطبعة دار الكتب، 1955، ص151

([4]) ابن الكلبي، المنذر هشام بن محمد بن السائب: **الأصنام**، تحقيق أحمد زكي باشا، ط2، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1924، ص 59 وضيف، شوقي: **العصر الجاهلي**، ط 24، دار المعارف، 2003، ص 93

([5]) ينظر المائدة:103

([6]) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن برد ربه: **صحيح البخاري**، ط 1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000، 3 /442

فالبحيرة من الإبل ما يمنع دره للطواغيت وتعلم بشق أذنها فقد كان أهـل الجاهليـة إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ، والسـائبة كمـا يبدو لون من وقف البهائم للآلهة وكان الرجل يقول :"إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها "، أما إذا ولدت الشاة أنثى فهـي لهـم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها وهي ما تعرف بالوصـيلة ، والحامي الفحل من الإبل فإذا أنتجت من لب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمي ظهره ، والفـرع أول أنتاج يذبح للآلهة. والعتيرة ذبيحة رجب[1].

كما انتشر بينهم نوع من العبادة الدموية وهي (الختان)، التي كان يقدمها الإنسـان إلـى أربابه، وتعدّ أهم جزء من العبادات في الديانات القديمة. فقطع جزء من البدن وإسالة الدم منه، تضحية ذات شأن، حظي في عرف أناس ذلك العهد[2].

وإذا كانت نهاية الإنسان عند الجاهليين مقترنة بالدم، فإن مبدأ حياته مقترن عندهم بالدم كذلك، لقد كان من عادتهم ذبح شاة عند ميلاد مولود وتلطيخ شيء من دمها بـرأس المولـود، ويقال لهذه الذبيحة (العقيقة)، وهي كلمة جاهلية وردت في الشعر الجاهلي[3]. حيث قال عمـرو ابن معدي كرب [4]:

(الطويل)

شـددتُ علـى مهـران لمـا لقيتُـه   بكفـي صمصـام العقيقـةِ مُخـذم

ومما يلحق بالذبح للآلهة تقديم الأبناء وغيرهم من البشر قرابين لها. – وقد ذكرنا فـي المبحث السابق - أن عادة التقرب إلى الآلهة بالضحايا البشرية كانت شائعة عند كـل الشـعوب القديمة، وقد مارس العرب كغيرهم التضحية بالدم البشري لاسترضاء الآلهة، أو لمحاولة إعـادة

([1]) جياووك،مصطفى عبد اللطيف:**الحياة والموت في الشعر الجاهلي**، سلسلة دراسات (123)، العراق:منشـورات وزارة الإعلام،،1977،ص42،43

([2]) علي،جواد:**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**،652/4

([3]) المرجع السابق، 652/4

([4]) عمرو بن معدي كرب الزبيدي : **شعره**، جمعه ونسّقه مطاع الطرابيشي، ط 2، 1985، ص38

الحياة لأعزائهم الموتى وقد أنتجت المخيلة العربيّة مجموعة من القصص التي تخلد هذا الطقس، بل إن عادة تقديم الأضحية البشرية كل سنة معروفة في الجاهلية، وكانوا يثابرون على أدائهـا، ذكر الفيلسوف الوثني (بروفيروس) في القرن الثاني للمسيح، قال: " إن أهل دومة الجندل كـانوا كل سنة يضحون لآلهتهم رجلا، ثم يدفنونه قرب المذبح" [1].

وما كان وأد البنات الذي عرف في الجاهلية، إلاّ تضحية للآلهة، وبالتالي لم يكن – مـن المكرمات المجردة – وإنما كان فداء المرأة للأرض الأم [2].

ويُروى أن العربي عندما كان ينوي وأد ابنته يقول لأمها: "زينيها حتى آخذها لأحمامها" فتزينها وتخرج الفتاةُ مع أبيها في أبهى صورها، خروجاً لا عودة بعده، فيقـدمها الأب قربانـاً بشرياً خالصاً لوجه الآلهة [3].

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن وأد البنات، ومن ذلك قولـه تعـالى: (وَكَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثيرٍ مِنَ المُشركينَ قَتلَ أَولادِهِم شُرَكاؤُهُم) [4]، وقوله تعالى: (ولا تَقتُلُوا أَولادَكُـم خَشيةَ إِملاقٍ)[5].

ومن هذه الآيات نفهم أنهم كانوا يقتلون الأولاد – إناثا وذكوراً –، ففي قولـه تعـالى: " أولادكم " يدخل فيه الذكور والإناث، لكن العامل الاقتصادي حمل القوم على استبقاء الذكور دون الإناث، فحياة الصحراء حياة حرب ونضال تؤثر القوي القادر[6].

([1]) الحوت، سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 154 وأحمد، عبد الفتاح محمد: **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**، ط 1، لبنان: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 1987، ص 107

([2]) خليل، خليل أحمد: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، (د. ط)، عكا: الأسوار للطباعة والنشر والتوزيـع، (د. ت)، ص 25 والحوت، سليم : **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 153

([3]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 91

([4]) **الأنعام** : 137

([5]) **الإسراء**: 31

([6]) الشوري، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط 1، مصر: الشركة المصـرية العالميـة للنشـر، 1996، ص 71، 72 والحوفي، أحمد محمد : **المرأة في الشعر الجاهلي**، (د. ط)، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعـة والنشر، (د. ت)، ص 298

لكن هذه الأوابد خضعت بمرور الوقت وطول العهد، وتبدل الثقافة لعمليات تشويه طقسي، تحدث غالباً لمعظم الطقوس في مختلف الحضارات، تتحول فيها الطقوس القديمة إلى قصص مشوهة تجترها الذاكرة الجمعية، ويتناسى الجيل الجديد فلسفة الطقس، فيفهم على أنه كان يؤدى خوفاً من الفقر والعار[1].

وربما كان أقدم وصف لعملية تقديم القرابين هذه ما ذكره فيلوس الأكبر، من أن العرب (كانوا يكرمون كوكب الصباح (العزى)، ويخرون له ساجدين، ويضحون بأجمل أسير يقع في أيديهم). وهم يفضلون لذلك الشبان إذا كانوا في عز الشباب، وصبحي الوجوه، ويعدون لهذه الغاية مذبحاً من الحجارة والصخور التي يكومونها وينتظرون الفجر، حتى إذا لاح كوكب الصبح، يضربون الضحية بالسيوف ويشربون دمها [2].

وقد قدم المنذر ملك الحيرة أحد أبناء الحارث الذي وقع أسيراً في يديه نحو أربعمائة راهبة قرابين إلى العزّى[3].

وعادتهم إذا لم يقع في أيديهم أحد من الأسرى أن يضحوا ناقة من العيس خالصة البياض، فينيخونها ويدورون حولها ثلاثاً، ثم يتقدم كاهنهم أو زعيمهم بكل رونق، وهم يتغنون بأغانيهم، فيضرب بسيف أوداج الناقة، ويتلقى دمها فيشربه، ثم يركض الباقون ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة فيأكلونها نيئة، ويسرعون في ذلك لئلا يبقى من الجزور حتى الجلد والعظام عند طلوع الشمس[4].

كما أنهم كانوا يتقربون بدم أعدائهم لموارد المياه والعيون والآبار، باعتبارها أماكن مقدسة لأنها تحتوي على الماء/الحياة الذي يجب حمايته بالدم المحيي سائل الحياة [5].

([1]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 66

([2]) الحوت، سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب**، ص 152 و الشوري، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 71، 72

([3]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 74، 75

([4]) أبو سويلم،أنور:**دراسات في الشعر الجاهلي**،ط1،بيروت: دار الجيل، عمان:دار عمار،1987،ص133

([5]) علي،إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**،ص75

يقول الأعشى[1]:

(الطويل)

كأنــكَ لــمْ تشــهَدْ قــرابينَ جمــةً تعيــثُ ضــباعٌ فــيهمُ وعواسِــلُ[2]

تَركْتَهُمُ صَــرْعَى لــدى كــلّ منهــلٍ وأَقْبلــتَ تَبغــي الصّــلحَ أمُّــكَ هَابِــلُ

وقد أقدم عبد المطلب جد الرسول – عليه الصلاة والسلام- على تقديم ابنه العاشر (عبــد الله)، قرباناً للآلهة، فلما كان عبد المطلب يحفر زمزم وابنه الحارث، وقد اشتد عليه أذى قريش حــين نازعوه ومنعوه من حفرها لمكانها منهم، لأنها منحرهم وموضع وثنيْهم (إساف ونائلة)، نــذر إن وفّى له عشرة أولاد أن ينحر أحدهم شكراً لربّه، فلما اكتمل العدد قرر الوفاء بنذره، وذلك بذبح أحدهم. وذهب كعادة أهل مكة إلى هُبل ليستقسم عنده، فلما أصاب النصيب عبد الله، ذهب إلــى (إساف و نائلة)، وثنيْ قريش اللذين تنحر عندهما، ليذبحه وهو يقول:

عاهدت ربي وأنا موف عهده

أخاف ربي إن تركت وعده

والله لا يحمد شيء حمده

لكن قريشاً أشارت عليه أن يذهب إلى كاهنة كانت بالمدينة، فطلبت منه أن يحضر مئــة من الإبل، ويضرب بالقداح عليها وعلى عبد الله، فخرجت القداح على الإبل، فكبّر الناس وقالوا: " قد رضى ربك". وما زال حتى ضرب الثالثة فخرجت على الإبل، فنحرها، فدية عــن ابنــه (عبد الله) [3].

([1]) الأعشى: **ديوانه،** حققه وقدم له فوزي عطوي، لبنان: الشركة اللبنانية للكتاب،(د.ط)، (د. ت)، ص 67

([2]) أراد بالقرابين: القتلى، العواسل: الذئاب

([3]) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العــرب** ،عني بشرحه و تصحيحه وضــبطه محمــد بهجــة الأثري، (د.ط)، بيروت:دار الكتب العلمية،(د.ت)، 47/3، 48، وعلي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبــل الإســلام،** 193/6 ، وعجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها،** ط1، بيروت: دار الفارابي، تونس: العربيــة محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، 1994، 202/1 ، وحسن، حسين الحاج: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية،** (د. ط)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998، ص 155

كما آمن العرب أن الدم صانع الحياة، لذلك اعتقدوا – كمعظم الشعوب البدائية – أن سكب الدم على شيء ما يكسبه صفة القوة والحيوية، لأنه يعطيه جزءًا من دم الإله، وهو جزء مبارك، وقد غطوا القبور والخيول والبقر والسهام بالدم [1].

فصورة القبور المطلية بالدم كانت مألوفة في الحياة العربيّة، فمن أوابد العرب ما يذكر عن (العقر على القبور)، وهو من الشعائر الدينية الجاهلية التي لها علاقة بروح الأموات، واعتقادهم أن موت الإنسان لا يمثل فناءً تامًا، وإنما هو انتقال من حال إلى حال[2].

وقد كانوا يعمدون إلى الناقة بسيوف بيضاء مصقولة، ثم يعقرونها، وينضحون جوانب القبر بالدماء، وفعل ذلك رجلٌ على قبر النجاشي فقال: "لولا أن القول لا يحيط بما فيك،والوصف يقصر دونك لأطنبتُ بل لأسهبت"[3].

وكان الجاهليون يعقرون على قبور الموتى، وعند إهالة التراب على الميت، وقد يعقرون على القبر كل عام، وفي أثناء المناسبات إذا كان الميت من السادة المشهورين المعروفين بالخصال الحميدة كالشجاعة والكرم[4].

وقد اختلف الباحثون في الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، ويقدم الألوسي عدة تفسيرات لهذا الطقس، تبدو كلها " مؤدلجة " برؤية ثقافية مغايرة لمنطلق الطقس وفلسفته[5]. فنجده يقول: " إنما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للميت على ما كان يعقره من الإبل في حياته لضيفانه"[6].

ومرة أخرى يقول:" إنما كانوا يفعلون ذلك إعظاماً للميت، كما كانوا يذبحون للأصنام"، كما يقول: " إن الإبل أنفس أموالهم، فكانوا يريدون بعقرها أنها قد هانت عليهم لعظم المصيبة". ويقول: " إنهم فعلوه لأن الإبل كانت تأكل عظام الموتى إذا بليت، فكأنهم يثأرون لهم منها"[7].

---

(1) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 63، 64

(2) أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ص 42

(3) المبرد،محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب**، (د.ط)،بيروت: مؤسسة المعارف،(د.ت)، 366/2

(4) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 173/5

(5) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 63، 64

(6) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 310/2، 311

(7) المرجع السابق، 310/2،311

ورأى الدكتور إحسان الديك:"أنها بقايا طقس جنائزي قديم،ينساق في سياق توفير الطعام لروح الميت التي ترتاح لوجوده، وليس الهدف من وراء العقر إطعام المحاويج"[1].

أما صورة الدم على الحيوانات، فيبدو أن هذا الطقس قد تحـوّل فـي أواخـر العصـر الجاهلي – لبعد العهد بالأسطورة الأولى – إلى مكافأة يكافأ بها الفرس السابق في الصـيد، فقـد كان من ديدنهم وعوائدهم أنهم إذا ساقوا الخيل على الصيد وأغاروها نحوه، فالسابق على غيـره في الوصول يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد، علامة على كونه لا يُدرك في الغارات، وأنه سبّاق غايات[2].

ولعرب الحجاز عادة قريبة من ذلك وهي أنهم إذا نزل بهم ضيف يعتنى بشأنه، ذبحوا له أو نحروا، فإذا سافر منهم وترحل عنهم لطخوا طرفي سنام بعيره بدم على شكل المثلث إيـذاناً بأنه من الرجال المعتنى بشأنهم بين قبائل العرب [3].

أما قدسية الدم فقد بدت جلية واضحة في كثير من الطقوس والممارسات التي مارسـها العرب قديماً، فالدم قادر على توثيق العهد الدموي بين البشر والآلهة. فقد كان الحلف بالدم مـن أقوى الأيمان، وكانت العرب تقول في الحلف: " الدم، الدم، الهدم، الهدم، لا يزيده طلوع الشمس إلاّ شداً، وطول الليالي إلاّ مداً ". والمعنى دماؤنا دماؤكم وهدمنا هدمكم، أي فما هدم لكم من بناء أو شأن فقد هدم لنا، وما أريق لكم من دم فقد أريق لنا، يلزمنا من نصرتكم ما يلزمنا من نصرة أنفسنا، وكان من شأنهم إذا تحالفوا أن يغمسوا أيديهم في الدم كالذي كان من أمر حلف (لعقـة الدم)[4].

فبعد أن اختلفت بنو عبد الدار وبنو عبد مناف على السقاية والرفـادة، عقـدوا حلفـاً لا ينقضونه، فأخرجت بنو عبد مناف ومن تابعهم من قريش جفنة مملوءة طيبـاً، وغمسـوا فيهـا

(1) الديك،إحسان: ***الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي***، مجلة جامعة النجاح للأبحـاث /العلـوم الانسـانية، نابلس، فلسطين، م13، ع2،1999، ص656

(2) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 17/3

(3) المرجع السابق، 18/3

(4) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 519/5، 520 وسقال، ديزيره: **العرب فـي العصـر الجـاهلي**، ط 1، بيروت : دار الصداقة العربية، 1995، ص 94

أيديهم، فسموا المطيبين، وأخرجت بنو عبد الدار ومن تابعهم من قريش جفنة مـن دم فمسـحوا فيها أيديهم، ومسحوا بها الكعبة، فسموا الأحلاف ولعقة الدم [1].

كما اعتقد العرب بقدسية الدم الملكي، حيث اعتقدوا أن فيه دواء للمستعصي من الأدواء، يشفي من داء الخبل والكلب، والجنون، بلعق دم الملوك والأشراف[2].

ويؤيد ذلك ما قالته الزباء لجذيمة حين أسرته وأمرت بقتله، حيث قالت: " أنبئت أن دماء الملوك شفاء من داء الكلب، فلا تضيعوا دم الملك"، ولهذا أمرت بطشت وقامت بقطع راهشـيه لينزل الدم فيه، لاستخدامه في العلاج[3].

ولم تكن قدسية الدم الملكي مقتصرة على هذا، فقد اعتقدوا بربط الدم بالروح، فـالروح تسري بالدم ولذلك زعموا أن المرأة التي لا يعيش لها ولد إذا وطئت دم الشريف عاش ولدها، أو هو خاص بالشريف القتيل[4].

قال بشر بن أبي خازم [5]:

(الطويل)

تَظَـلُ مَقاليـتُ النّسـاءِ يَطَأنَـه يَقُلْنَ: ألا يُلقى علـى المـرءِ مِئْـزرُ؟ [6]

([1]) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 248/1، 249 و الحـوفي، أحمـد محمـد: **الحيـاة العربية من الشعر الجاهلي**، ط 4، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، (د. ت)، ص 286

([2]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، (د. ط)، بيروت: دار الجيل، 1992، 5/2 وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: **عيون الأخبار**، (د. ط)، القـاهرة: المؤسسـة المصـرية للطباعـة، 1963، 79/2 وضيف، شوقي: **العصر الجاهلي**، ص 84

([3]) الطبري، أبو جعفر محمود بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجـلاء، (د. ط)، القاهرة: مطبعة الاستقامة، 1939، 445/1 و المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بـن علـي: **مـروج الـذهب ومعادن الجوهر**،تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي،ط1،بيروت:دار القلم، 1989، 94/2 و ابن الأثيـر، عـز الدين أبو الحسن الشيباني: **الكامل في التاريخ**، 348/1،347 والميداني: **مجمع الأمثال (مختارات)**، تحقيق محمـد علـي قاسم، (د. ط)، بيروت: مكتبة المعارف، 1986، ص 66.

([4]) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 318/2 و أبو سويلم، أنور: **دراسـات فـي الشـعر الجاهلي**، ص 93 و الحوفي و أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**، ص 498.

([5]) بشر بن أبي خازم: **ديوانـه**، تحقيق عزة حسن، (د. ط)، دمشق: مطبوعات مديرية إحيـاء التـراث القـديم، 1960، ص88.

([6]) المقاليت: جمع مقلات وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد

وقد يكون هذا الطقس من قبيل الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وانتقالها مـن الأمـوات إلـى الأحياء، فأرواح الملوك لا تموت [1].

وشبيه بهذا ما تفعله بعض النساء في مصر اليوم عندما يتخطين القتيـل للشـفاء مـن العقم[2].

وكان من عادة العرب فصد عرق الناقة ليخرج الدم منه فيشرب، "ويفعلونه أيام الجوع، كما كانوا يأخذون ذلك الدم ويسخنونه إلى أن يجمد ويقوى فيطعم به الضيف في شـدة الـزمن، و(الفصيد): دم كان يوضع في الجاهلية في معي معنى من فصد عرق البعيـر ويشـوى، وأمـا (الفصيدة): فتمر يعجن ويشاب بدم وهو دواء يداوى به الصبيان[3].

كما اعتقد الجاهليون _ كبقية الشعوب الأخرى_ بأن "دم الحيض مشحون بقـوة خطـرة ينبغي عدم السماح لها بالانتقال إلى الآخرين، لذلك كانت الحائض لا تؤاكلهم في إنـاء، وكـانوا يتجنبون أن تلمس المرأة رأس زوجها، وأن تضاجعه في فراشه، ولا يسمح للحـائض بـدخول الكعبة أو" الطواف بها أو بمس الأصنام، لأنها غير طاهرة".[4]

أما الثأر فقد كان "القانون الأكبر الذي تحكم بالجاهليين، وارتفع أحيانـا إلـى مسـتوى التقديس الديني لما يكتنفه أحيانا من حلف وقسم بوجوب الأخذ بالثأر، وهو في رأي أبي سـويلم في أصله طقس تطهيري يرتبط بعقيدة دينية ويدلل على الجذور الدينية لـه أن العـرب كـانوا يتقربون بدم أعدائهم للإلهة العزى، وقد كانت هذه الإلهة تفرض عليهم طقوساً خاصة عند القتل، فالدم إذا أريق لغيرها لا ترضى به، والقاتل الذي يريد منازعتها صفتها لا بد أن يقتل، وقد كانت تعتبر عبادها نجسين إلى أن يقتلوا متحديها.[5]

---

(1) أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ص 92، 93

(2) حسن، حسين الحاج: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، ص 80، 81

(3) علي جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 59/5

(4) المرجع السابق، 556/5.

(5) أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ص 134

فمن قتل من عشيرة شخصاً من عشيرة أخرى تبعه هو وعشيرته ثأره، فلا يُطلّ دمه أو بعبارة أخرى لا يذهب دمه هدراً، بل لا بدّ أن يثأر له قومه ولا بد أن تسفك من أجله الدماء، ويدخل الطرفان المتقابلان في معارك لا تنتهي، إذ لا يمكن منها الخلاص، فدائماً مقتولون ودائماً في معارك طاحنة، لا يكادون يفرغون من إحداها حتى تنشب معركة جديدة أكثر فتكا وأشد هولاً، وكأنما أصبح سفك الدماء سنة من سننهم، بل لكأنما أصبح غريزة من غرائزهم فهم عطاش لرؤيته، وخاصة إذا كان إدراكا لثأر، فإنهم يحرمون على أنفسهم كل متاع للحياة.[1]

فلا يقربون الخمر ولا النساء طيلة طلبهم للثأر، وقد يلبسون ألبسة الحزن ويجزّون شعورهم، ولا يأكلون لحماً ولا يميلون الى ضحك ولا سماع دعابة ولا الى استراحة، حتى ينالوا منالهم من الأخذ بثأر القتيل، كالذي روي في قصة طلب امرئ القيس الكندي ثأر أبيه من بني أسد وقد الى على نفسه ألا يمس رأسه غسل ولا يشرب خمراً حتى يثأر بأبيه، فلما ظفر ببني أسد قتلهُ وأدرك ثأره حلّ له ما حرم على نفسه، وكالذي روي في قصة قيس بن الخطيم عن ثأر أبيه، أو عن (يوم الأقطانين) إذ أقسموا ألا يغسلوا أجسامهم حتى يأخذوا بثأرهم.

وقد يستغرق طلب الأخذ بالثأر عشرات السنين لا يكلّ في خلال هذه المدة أهل القتيل عن إدراك الثأر، وينظر إلى الذين يتوانون عن إدراك الثأر وقبول الدية نظرة ازدراء واحتقار، وقد يلحق بهم وبنسلهم العار.[2]

وكان للعرب مبدأ في الأخذ بالثأر مقرر، وهو أن القتيل إذا كان شريفاً في قومه، وكان قاتله وضيعاً صعلوكاً أو عبداً فلا يقتل أهل القتيل (بالقود)، بل بعرف تكافؤ الدم، فعندهم أن دم القتيل الشريف لا يغسل إلا بدم شريف مثله ومن أهل مكانته، وقالوا لهذا النوع من الثأر (الثأر المنيم)، وهو الذي إذا أصابه الطالب رضي به فنام بعده.[3]

([1]) ضيف، شوقي: **البطولة في الشعر الجاهلي**،ط2، القاهرة: دار المعارف، (د.ت)، ص18

([2]) سقال،ديزيره: **العرب في العصر الجاهلي**، ص 98

([3]) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 399/4

وقد اعتقد العرب أن روح القتيل الذي لم يثأر له، تخرج من رأسه هامة تصيح وتزقـــو وتطلب الثأر، وتقول: "اسقوني، اسقوني"، فلا تهدأ ولا تسكن ولا تطمئن حتـــى تُســـقى مـــن دم القاتل.[1]

وفي ذلك يقول ذو الإصبع العدواني: [2]

(البسيط)

يا عمرو إن لا تدع شتمي و منقِصـــتي أضربك حيـــثُ تقـــولُ الهامـــةُ اســـقوني

([1]) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر،162/2 وخان، محمد عبـــد المعـــين: **الأساطير العربية قبل الإسلام**، (د.ط) ،ص63

([2]) الضبي، المفضل بن محمد بن لعلى بن عامر بن سالم: **المفضـــليات**، تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبد السلام هـــارون، ط6، القاهرة: دار المعارف، 1964، ص 160

الفصل الثاني

أسماء الدم وصفاته ومواضع وروده في الشعر الجاهليّ

المبحث الأول: أسماء الدم وصفاته

المبحث الثاني: مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي

المبحث الأول

أسماء الدم وصفاته

الدال والميم أصل واحد يدل على غشيان الشيء من ناحية أن يطلى به، تقول دممت الثوب، إذا طليته أي صُبغ.[1]

والدم من الأخلاط، معروف والجمع دماء، ودم الغزلان بقلة لها زهرة حسنة، ودم الأخوين العندم.[2]

والدّمية: جمع دُمى، وهي الصّورة المنقّشة من العاج ونحوه، ويقال للمرأة دمية، يكنى عن المرأة بها.

والدمية: الصّورة المصورة لأنها يتنوّق في صنعتها ويبالغ في تحسينها، وسميت دمية لأنها كانت تصور بالحمرة، فكأنها أخذت من الدم، وتسمّى الأصنام دُمى لأن الدماء كانت تراق عندها تقرباً، فقد أكد الجاهليون على تلطيخ الصنم الذي يذبح له بشيء من دم الضحية [3] وقد ورد ذلك في أشعارهم – كما ذكرنا في الفصل السابق - ومن أيمان الجاهلية، لا والدُمى، يريدون الأصنام، ويروى والدماء بالكسر، يعني دم ما يذبح على النصب[4]، كما نجد في قول طرفة[5]:

(الكامل)

إنّي وجَدِّكَ ما هَجَوتُكَ وال   أنصابِ يُسفَحُ بَينَهُنّ دمُ

([1]) ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، (د.ط)، دار الفكر، 1979، 260/2، مادة (دم)

([2]) الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القاموس**، (د.ط)، لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، 130/10، 131، مادة (دَمَيَ)

([3]) المصدر السابق: 306/5، مادة (دَمَيَ)

([4]) ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**لسان العرب**، 306/5، مادة (دَمَيَ)

([5]) طرفة بن العبد،: **ديوانه**، اعتنى به حمدو طمّاس، لبنان / بيروت: دار المعرفة، ط1، 2003، ص 82

وقول عمرو بن عبد الجن[1]:

(الطويل)

أمَــــا ودمـــــاءٌ مـــــائِراتٌ تَخالُهـــــا   علـــى قنـــةِ العـــزّى وبالنّســـرِ عَنْـــدمَا

والمدمّى: كل شيء في لونه سواد وحمرة فهو مُدمّى، وكل أحمر شـديد الحمـرة فهـو مدمى، والمدمى من السّهام: الذي أصابه الدم فحصل في لونه سواد وحمرة، ويقال سُميّ مـدمى لأنه أحمرّ من الدم، ويقول بعضهم، هو مأخوذ من الدامياء وهي البركة [2]. وهي كلمة تعكـس إيماناً راسخاً في نفسية العربي الأول، بارتباط الدم بالبركة والنمو والزيادة، أي الحيـاة نفسـها، فمن غير الممكن تفسير معنى هذه الكلمة (الدامياء) دون استدعاء (الدم)، وهو استدعاء إجباري يوجبه ذلك التناصّ الصوتي، او التماس الاشتقاقي الواضح[3].

والعلاقة بين الدم والحياة (الروح/ النفس) جد واضحة، وقد استخدمت التوراة الدم بمعنى النفس والجسد، وذلك حين خاطب الرب قابيل بعد أن قتل أخاه هابيل قائلاً له[4]: " ملعون أنـت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم أخيك من يديك".[5]

والعرب تقول: نفست المرأة إذا حاضت، وتقول لها عند ولادتها: نُفساء لسيلان الـنفس وهو الدم، وربما لم يزل جارياً على ألسنة الناس قولهم: سالت نفس فلان إذا مات[6].

وسمّى السموأل بن عاديا الدم نفساً لأن النفس تخرج بخروجه[7]، فقال [8]:

([1]) الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، تحقيق أحمد حسن، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، 1994، 32/1

([2]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط1، بيروت: دار صادر، 1990، 306/5، مـادة (دَمَيَ)

([3]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 64

([4]) الديك، إحسان: ***الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي***، ص636

([5]) **الكتاب المقدس**، سفر التكوين 12، الاصحاح 4

([6]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 60

([7]) الديك، إحسان: ***الهامة والصدى صدى الروح في الشعر الجاهلي***، ص 636

([8]) السموأل: **ديوانه مع عروة بن الورد**، (د.ط)، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1982، ص 91

(الطويل)

تســـيلُ علـــى حـــدّ الظُّبـــاتِ نُفوسُـــنا   وليسَت علـــى غيـــرِ الظُّبـــاتِ تَســـيلُ[1]

كما ورد عن الخنساء [2]:

(مجزوء الكامل)

خَضَـــــبَ السِّـــــنانَ بِطَعنَـــــةٍ   فـــــالنَّفسُ يَحفِزُهـــــا الـــــنَّفَس

وربط أوس بن حجر بين الدم والنفس، حين أضاف (التامور) الدم إلى النفس في رثائـه المنذر بن ماء السماء[3]، فقال [4]:

(الكامل)

نُبِّئـــتُ أَنَّ بَنـــي سُـــحَيمٍ أَدخَلـــوا   أبيَـــاتَهُم تـــامورَ نَفـــسِ المُنـــذِرِ

وقد ذكرنا في الفصل السابق صفحة 42 أن العرب اعتقدوا، أن الإنسان إذا مات أو قُتل، اجتمع دم الدماغ أو جزء منه،وخرج على شكل طائر (هامة) يطلب الثأر، ويرجع هذا الرأي إلى عقيدة قديمة تعتبر الدم مقراً للنفس، بل تجعله في معنى النفس، والنفس في معنى الـدم، وذلـك للصلة الوثيقة الكائنة بين الدم والنفس، ولأن الإنسان إذا قتل سال دمه، فتخرج روحه بخـروج الدم من الجسم، أي خروج النفس من الدم[5].

كما يقال دم بحرانيّ، أي شديد الحمرة، ودم باحر وباحريّ خـالص الحمـرة مـن دم الجوف. وعمم بعضهم به فقال: أحمر باحريّ وبحراني، ولم يخص به دم الجـوف ولا غيـره، ويقال أحمر قانيء وأحمر باحريّ وذريحي، بمعنى واحد. وسئل ابن عباس عن المرأة تستحاض ويستمر بها الدم، فقال: " تصلي وتتوضأ لكل صلاة، فإذا رأت الدم البحراني قعدت عن الصلاة،

([1]) الظُّبات: جمع ظُبة، وهي حد السّيف

([2]) الخنساء: **ديوانها**،اعتنى به وشرحه حمدو طماس،ط2،لبنان/بيروت:دار المعرفة،2004، ص 73

([3]) الديك، إحسان: ***الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي***، ص 636

([4]) ابن حجر، أوس: **ديوانه**، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، ط3، بيروت: دار صادر، 1979، ص 47

([5]) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**،139/6

دم بحراني: شديد الحمرة كأنه قد نسب إلى البحر، وهو اسم قعر الرحم، وقيل نسب إلى البحـــر لكثرته وسعته [1].

قال المثقب العبدي[2]:

(الرمل)

بـــــاحِريٌّ الــــدّمِ مُــــرٌّ طَعمُـــــهُ   يُبــــرِيءُ الكَلــــبَ، إذا عَـــضَّ وَهـــرّ

ويسمّى الدم بالعبيط، وهو الدم الطريّ[3] والخالص، أي دم صـــاف ولـــه علاقـــة بـــدم الشباب، فتقول: مات عَبْطَةً: أي شاباً، وقيل، شاباً صحيحاً

قال أمية بن أبي الصلت[4]:

(المنسرح)

مَنْ لـــم يَمُـــتْ عَبطَـــةً يمُـــت هَرِمـــاً   للمَـــوتُ كَـــأسٌ، والمَـــرءُ ذائقُهـــا

وعبط الذبيحة يَعْبطُها عَبْطاً واعتباطاً: نحرها من غير داء ولا كسر وهي ســـمينة فتيّـــة وهو العبْط.

وفي الحديث: " مُري بَنيك لا يعبطوا ضروع الغـــنم " أي يشـــدّوا الحليـــب فيعقروهـــا ويدموها بالعقر، من العبيط وهو الدم الطريّ. أو لا يستقصوا حلبها حتى يخرج الدم بعد اللبن، والمراد أن لا يعبطوها[5].

([1]) الألوسي، محمود شكري: ***رسالة في الألوان***، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج 3، آذار، 1921، ص 81

([2]) المثقب العبدي : **ديوانه**، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامـــل الصـــيرفي، (د.ط)، معهـــد المخطوطـــات العربية، 1971، ص 70

([3]) الصعيدي،عبد الفتاح؛ موسى،حسين يوسف:**الإفصاح في فقه اللغة**، ط 2، دار الفكر العربي، (د.ت)،1|107

([4]) أمية بن أبي الصلت : **شرح ديوانه**، قدم له وعلق على حواشيه سيف الدين الكاتب و أحمد عصام الكاتب، (د.ط)، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص 53

([5]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 160/10، مادة (عَبَطَ)

قال عبيد بن الأبرص[1]:

(الطويل)

دَفــــوعٌ لأطـــــرَافِ الأَنامــــلِ ثَــــرَّةٌ   لهــا بَعــد إشــرافِ العَبــيطِ نَشــيحُ [2]

ومن أسماء الدم أيضاً الجديّة، وهي ما لزق بالجسد[3]، وأول دفعة من الدم، قــال ابــن دريد، هي ما استطال منها، والجدية: القطعة من الدم على الثوب أو على الأرض كقدر التــرس الصغير. والجمع جدايا[4].

قال العباس بن مرداس[5]:

(المتقارب)

كـــأنّ سُـــيولُ الجَدِيَّـــةِ جـــادَت   مُراشــــاةَ كـــلِّ قَتيـــلٍ قَتـــيلا [6]

كما قال أبو كبير الهذلي [7]:

(الكامل)

وكـــأنَّ أوشـــالَ الجَديّـــةِ وَسْـــطَها   سَـــرَفُ الـــدِّلاءِ مـــن القَليـــبِ الخِضْـــرِمِ

وسمّي الدم بالنجيع، وهو الدم المائل إلى السّواد، وقيل دم الجوف خاصة [8].

وقد ورد هذا الإسم في الشعر الجاهلي، فقال عنترة بن شداد [9]:

([1]) عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، شرح أشرف أحمد عدرة، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، 1994، ص41

([2]) ثرّة: غزيرة ، النشيح :السيلان

([3]) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، (د.ت)، 93/2

([4]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**لسان العرب**،3|101،مادة (جدا)

([5]) العباس بن مرداس السلمي:: **ديوانه**، جمعه وحققه يحيى الجبوري، ط1، مؤسسة الرسالة، 1991، ص 128

([6]) مُراشاة: أن يعطي بعضهم بعضاً من الرشوة

([7]) السّكري،أبو سعيد الحسن بن الحسين:**شرح أشعار الهذليين**، تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج، وراجعه محمـــود محمـــد شاكر، (د.ط)، القاهرة: مكتبة دار العروبة، (د.ت)، 114/2

([8]) الصعيدي، عبد الفتاح؛ موسى، حسين يوسف: **الإفصاح في فقه اللغة**، 108/1

([9])عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1992، ص 208

(الكامل)

يَعثُــرنَ فــي نَقــعِ النَّجيــعِ جَــوافِلاً   وَيَطَأنَ مِــن حَمْــي الــوَغى صَــرْعاها

كما وردت عند عبيد بن الأبرص [1]:

(الطويل)

عَطفنا لَهم عَطْفَ الضَّــروسِ فــأدبَرُوا   سِــراعاً وقــد بَــلَّ النَّجيــعُ السَّــنابكا[2]

وعند حبيبة العوراء [3]:

(الكامل)

أإلــــى الفتــــى بَــــرٌّ تَلَكَّـــأَ نَــــاقتي   فكســــا مناسِــــمها النَّجيــــعُ الأســــودُ

وذكرها الأسود بن يعفر النهشلي في أشعاره فقال [4]:

(الطويل)

فدى لكَ أُمّــي يَــومَ تَضــرِبُ وائِــلاً   وَقَــــدْ بَــــلَّ ثَوبَيْــــه النَّجيــــعُ عَبيطــــا

وسُمّي الدم بالجَلْسَد، والجسَدُ والجاسد والجسيد، وقال الأصمعي: دم جميس، وهو الــدم اليابس، جَسدَ الدم يجسد جسداً، يبس وبه لصق، ومنه قيل للثوب، مُجسد إذا صُبغ بالزعفران[5].

قال الأفوه الأودي[6]:

([1]) عبيد بن الأبرص: **ديوانه**، ص 88

([2]) الضروس: الناقة السّيئة الخلق تعض حبالها

([3]) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران: **أشعار النسساء**، حققه وقدم له سامي مكي العاني وهــلال نــاجي، (د.ط)، عالم الكتب، (د.ت)، ص 103

([4]) الأسود بن يعفر النهشلي: **ديوانه**، صنه الدكتور يحيى الجبوري، (د.ط)، دمشق: مطبوعات مجمــع اللغــة العربيــة، 1986، ص 20

([5]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**،146/3، مادة (جَسَدَ)

([6]) الأفوه الأودي: **ديوانه**، شرح وتحقيق الدكتور محمد التونجي، ط 1، بيروت: دار صادر، 1998، ص 88

(السريع)

تُغــــــــادرُ الجُبَّــــــــةَ محمـــــــــرَّة   بقـــانيءٍ مِـــن دَمِ جَـــوْفٍ جَمَـــيس[1]

والعلق: الدم عامة، أو شديد الحمرة، أو الغليظ، أو الجامد، وقيل: الجامد قبل أن ييـــبس، القطعة منه، علقة[2]. وفي حديث سرية بن سُليم، فإذا الطير ترميهم بالعلق أي بقطع الدم، الواحد علقة، وفي حديث ابن أبي أوفى: أنه بزق علقة ثم مضى في صلاته، أي قطعة دم منعقد.

وفي التنزيل: "ثم خلقنا النطفة علقة"[3]. ومنه قيل لهذه الدابة التي تكون في الماء عَلَقـــة لأنها حمراء كالدم، وكل غليظ علق، والأعلق دود أسود في الماء معـــروف، الواحـــدة علقـــة، والعلقة: دودة في الماء تمص الدم، والجمع عَلَق، والعَلَق: دويدة حمراء تكون في المـــاء تعلـــق بالبدن، وتمص الدم، وهي من أدوية الحلق والأورام الدموية لامتصاصها الـــدم الغالـــب علـــى الإنسان[4].

قال الحطيئة [5]:

(البسيط)

لـــولا الجَـــديلُ وأنســـاعٌ مُظـــاهَرَةٌ   والضّربُ بالسّـــوطِ حتـــى بَلَّهـــا العَلَـــقُ

وقال الشمّاخ الذبياني[6]:

(الطويل)

فتـــىً كـــانَ يـــروي سَـــيْفهو وسِـــنانَهُ   من العَلَقِ الآني لـــدى المُحجَـــرِ التّـــالي

([1]) الجبّة: العظم المحيط بالعين

([2]) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، 95/2

([3]) المؤمنون: 14

([4]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**،257/10، مادة (عَلَقَ)

([5]) الحطيئة، **ديوانه**، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، ط 2، لبنان / بيروت: دار المعرفة، 2005، ص 101

([6]) الشمّاخ بن ضرار الذبياني: **ديوانه**، شرح وتقديم قدري مايو،(د.ط)، بيروت:دار الكتاب العربي،2004،ص101

وقد وردت كلمة العلق أيضاً عند النابغة الجعدي[1]:

(الوافر)

سَـــقَيْناه بِـــأهوى كَـــأسَ ضَـــفٍ تَحَسّـــاها مَـــعَ العَلَـــقِ اللعابَـــا

كما وردت عند زيد الخيل الطائي[2]:

(البسيط)

وجـــاءَتِ الخَيــلُ محمــرًّا بوادِرُهــا بالمـــاءِ يَسْــفحُ عـــن لبّاتهـــا العَلَـــقُ

ونُزفَ دمه نزفاً، فهو منزوف ونزيف، هُريق، ونزفَ فلان دمه ينزفه نزفاً إذا استخرجه بحجامة أو فصد، ونزفه الدم ينزفه نزفاً، ويقال نزفه الدم إذا أخرج منه كثيراً حتــى يضــعف، والنُّزف: الضعف الحادث عن ذلك [3].

قال قيس بن الخطيم [4]:

(المنسرح)

تَغتـــرقُ الطَّـــرفَ وهـــيَ لاهِيَـــةٌ كَأَنَّمـــا شَـــفَّ وَجْهَهـــا نُـــزُفُ

كما قال حسان بن زُرعة [5]:

(الرمل)

تَعْصِـــبُ الطَّيـــرُ عليـــه كُلّمـــا حـــاولَ الـــنَهْضَ تَأَبّـــاهُ النَّـــزْفُ

([1]) النابغة الجعدي: **ديوانه**، جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصمد، ط 1، بيروت: دار صادر، 1998، ص 18

([2]) زيد الخيل الطائي: **شعره**، جمع ودراسة وتحقيق وصنعة الدكتور أحمد مختار، ط 1، دمشق: دار المــأمون للتــراث، 1988، ص 134

([3]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**،235/14، مادة (نَزَفَ)

([4]) قيس بن الخطيم: **ديوانه**، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط 2، 1967، بيروت: دار صادر، ص 104

([5]) الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد المطهّر العدوي: **الأنوار ومحاسن الأشعار**، حققه السيد محمد يوسف وراجعــه عبد الستّار أحمد فرّاج، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت (14)، 1977، ص 177

ونزفت المرأة تنزيفاً، إذا رأت دماً على حملها، وذلك يزيد الولد ضعفاً وحملها طــولاً، ونُزِفَ الرجلُ دماً إذا رعف فخرج دمه كله [1].

كما قال خداش العامري [2]:

(الوافر)

تَرَكْــــتُ الـــــواهِبِيَّ لَــــدى مَكَـــرٍ إذا مـــــا جــــادَهُ النَّـــــزفُ اســــتدارا

والدم العاني: الدم السائل [3].

ومنه قول الشاعر [4]:

(البسيط)

لمّــــا رأَت أُمُّـــــهُ بالبــــابِ مُهْرَتَــــه علــــى يــــديْها دَمٌ مـــن رأســــهِ عـــانِ

وقول الأعشى [5]:

(الوافر)

فإنَّـــكَ لَـــو سَـــأَلتَ "قُتَيْـــلَ" عنـــا إذا صَـــفَحَتْ عـــن العـــاني الخُـــدودُ

والمهجة: دم القلب، ولا بقاء للنّفس بعدما تُراق مُهجَتُها، وقيل المهجة: الدم. وحكي عن أعرابي أنه قال: دفنت مهجته أي دمه، ويقال خرجت مهجته أي روحه، ومهجة نفسه: خـالص دمه [6].

([1]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 14 /235، مادة (نَزَفَ)

([2]) خداش بن زهير العامري: **ديوانه**، صنعة الدكتور يحيى الجبوري، (د.ط)، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربيـة، 1986، ص 114

([3]) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، 94/2

([4]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 10/ 314، مادة (عنا)

([5]) الأعشى، **ديوانه**، ص39

([6]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**،14/ 141، مادة (مَهَجَ)

وقيل المهجة خالص النفس، قال أبو كبير الهذلي [1]:

يَكــوي بهــا مُهَــجَ النُّفــوس، كَأنَّمــا يســـــــقيهمُ بالبــــــابليِّ المُمْقــــــرِ

(الكامل)

والإفراع: الإدماء[2]، أفرعت المرأة إذا حاضت وأفرعها الدم، وأفرعت: إذا رأت دمــاً قبل الولادة، والإفراع: أول ما ترى الحائض من النساء أو الدواب دماً .

وافترع البكر: افتضها، والفُرعةُ: دمها، وقيل له افتراع لأنه أول جماعهــا، وهــذا أول صيد فَرَعَه: أي أراق دمه[3].

ومنه قول الأعشى [4]:

(الطويل)

صَدَدْتَ عن الأعداء يــومَ "عُباعــب ٍ" صُدَوِدَ المذاكي أقرَعَتهــا المســاحلُ [5]

وسُمي الدم مشيج وهو: الدم اختلط بالزبد أو غيره [6].

قال الشمّاخ الذبياني [7]:

(الوافر)

كَـــأَنَّ المَـــتنَ والشَـــرخين مِنـــهُ خِــلافَ النَصــلِ ســيطَ بِــه مَشــيجُ

كما سُمي الدم بالروح ومنه قول النابغة الجعديّ [8]:

([1]) السّكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، 104/2

([2]) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، 95/2

([3]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 165،166/11، مادة (فَرَعَ)

([4]) الأعشى: **ديوانه**،ص68

([5]) المذاكي: الخيل القوية، المساحل: جمع مِسْحل وهو اللجم، يعني أن المساحل أدمتها كما أفرع الحيض المرأة بالدم

([6]) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، 95/2

([7]) الشمّاخ بن ضرار الذبياني: **ديوانه**، ص 34

([8]) النابغة الجعدي: ديوانه، ص 90

(الطويل)

وَلَسْنا نَرُدُّ الــرّوحَ فــي جســمِ ميّــتٍ   وكنـــا نسُــلُّ الـــرَوحَ ممَّـــن تبشَّـــرا

أما الأشمق فهو: اللغام المختلط بالدم[1].

ومنه قول الراجز[2]:

(الرجز)

يَنفُخن مشكولَ اللّغامِ أشْمَقا

وهناك أسماء للدم لم ترد في الشعر الجاهلي مثل، الكدب وهــو: الــدم الطــريّ وقــال صاحب اللسان: "الدم الكدب الذي يضرب إلى البياض"[3]. والمقلوب وهو: خروج الــدم مــن الإنسان بكثرة حتى يضعف ونُزِف فلان دمه: سال حتى يُفرط[4]. والنتوع وهو: خروج الدم من الجرح قليلاً قليلاً[5]. والسريحة وهي: الطريقة المستطيلة من الدم[6]، والبصيرة: شيء من الــدم يستدل به على الرمية، ودم البكر[7].

([1]) ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، 95/2

([2]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 135/8، مادة (شَمَقَ)

([3]) المصدر السابق ،31/13، مادة (كَدَبَ)

([4]) الصعيدي، عبد الفتاح؛ موسى، حسين يوسف: **الإفصاح في فقه اللغة**، 109/1

([5]) المصدر السابق ، 108/1

([6]) المصدر السابق، 109/1

([7]) المصدر السابق، 109/1

المبحث الثاني

مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي

يحتل الدم في الشعر الجاهلي مساحات واسعة، فقد أكثر الشعراء الجاهليون من ذكره حتى بدت صورهم لوحات فنية رسمت بريشة فنان ماهر تمكن من محاكاة الواقع، ثم صبغ لوحته بمشاعره الخاصة.

فالدم في التجربة الشعرية الجاهلية، يتلون بانفعالات الشاعر ورؤيته، فيصبح حضوره حضوراً متعدد الألوان والسمات، وذا دلالات نفسية متنوعة، حيث تغيرت دلالاته واختلفت وتباينت صوره، تبعاً لتنوع المشاعر والمواقف عند الشاعر.

والشعراء في ذكرهم للدم لم يكونوا تسجيليين ومقلدين، وإنما صدروا عن الحسّ الجمعي والعقلية السائدة، و لذا جاءت صورهم شبه مكررة، وإن كانت لكلٍ منهم خصوصية معينة في الجزئيات الدقيقة.

وعند تتبع مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي، وجدت أنه لم يحظ بقصيدة شعرية كاملة، وكل ما ورد ورد في ثنايا موضوعات القصيدة الجاهلية، من خلال أبيات متفرقة لا ترقى لأن تكون قصيدة خاصة به.

وقد تنوعت مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي، وهذه المواضع مرتبطة بطبيعة حياتهم.

الدم والقوة والشجاعة

ورد الدم بكثرة في أثناء حديث الشعراء الجاهليين عن القوة والشجاعة. فطبيعة حياة العرب في الجاهلية القائمة على القتال والحروب،المحفوفة بالمصاعب و الأخطار تتطلب شجاعة وقوة ، وفي مثل هذه الحال يحضر الدم باعتباره دليلاً على الحرب والقراع والنزال، فيصفه الشعراء، ويكثرون من الحديث عنه، وكلما ازداد نزفه ازدادت شدة القتال وكثر

الصرعى والجرحى، ولن نجد حديثاً عن القوة والشّجاعة مـن غيـر دمٍ نـازف يـروي أرض المعركة، وكأنه قربان الحياة الكريمة، أو الماء الذي يتطّهر به الفتى الفارس ليعبر إلـى الحيـاة الجديدة المليئة بالنصر.

والشجاعة من الصفات التي يكتسبها الإنسان بالمران والممارسة، وهـي لا تـدرك إلا باستمرارها ولا تُعلم إلا بمقتضاها، ومن مظاهرها عدم المبالاة بالحياة، ولا بالممـات، وكلمـا كانت هذه الآثار أعظم كان مبدؤها أقوى وأتم.

وطبيعي أن يكون عنترة من أكثر الشعراء الذين ذكروا الدم في أشعارهم، فهو الفـارس الشجاع الذي خاض ساحات القتال وميادين الوغى، وهو البطل الجريء المقدام، الذي لا يخـاف في أشد المواقف، ويشهد الغارات والحروب، المليئة بالأبطال المدججين بالسلاح.

وقد خصص جزءاً كبيراً من شعره للفخر بكل ما يصوره قوياً، بحيث يجعل كـل مـن عاداه يرهبه، ويخشى الوقوع في حرب معه، وذلك من خلال وصف قوته وقدرته على شـرب دماء الأعداء بأقحاف الرؤوس وعدم ارتوائه منها، فهو يعتمد على الـدم لإبـراز هـذه القـوة فيقول[1]:

(الوافر)

خُلِقـتُ مِـنَ الحَديـدِ أَشَـدّ قَلبـاً   وَقَـد بَلـيَ الحَديـدُ وَمـا بَليـتُ

وإنّـي قـد شَـربتُ دمَ الأَعـادي   بأقحـافِ الـرؤوسِ ومـا رُويـت[2]

وفي الحربِ العـوانِ، وُلـدتُ طفـلاً   ومـن لَـبنِ المعـامعِ قـد سُـقيتُ

كما يصور قوته وقت اشتداد المعركة، عندما تسيل الدماء على الأرض ويجعلهـا وردة كالدهان وذلك في قوله[3]:

---

(1) عنترة بن شدّاد:**شرح ديوانه**،ص38

(2) الأقحاف:جمع قحف وهو ما انفلق من الجمجمة فانفصل

(3) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص 199

(مجزوء الرمل)

فـــــإذا مــــا الأرضُ صـــــارت وردةً مثـــــــــل الـــــــــدّهان

والـــــدِما تجــــري عليهـــــا لونهـــــا أحمـــــرُ قـــــاني

ويصور في موضع آخر مُنازلاً له في الحرب وقد تركه صريعاً بصورة ساخرة، فشّــبه ذوائب شعره وقد لطّخت بالدم بالأرجوان من شدة حمرتها، يقول[1]:

(الوافر)

وقِــرنٍ قــد تركــتُ لــدى مَكَــرٍّ عليـــه ســـبائبٌ كـــالأُرجُوانِ

كما يكتب عنترة سطور المجد بسيفه وما سفك من دماء أقرانه فيدللّ على بطشه وحــدّة سيفه الذي ما ينفك عالياً هابطاً يُجري دماء الأعداء ويسيلها، فهو يتوعد بني عامر ويتهــددهم، فمتى لاقاهم في ساحات الوغى سيجري دماءهم بسيفه فيقول[2]:

(الخفيف)

يــا بنـــي عـــامر سَــتلقون بَرقــاً من حُســامي يُجــري الــدِّماءَ سِــجاماً

ويقتحم عنترة المعارك ويصلى نارها، فإذا دارت رحى الحرب، أطاح برؤوس الشجعان كأنــه القضاء النازل، وملأ بيوتهم دماً حتى غدا لا يجرؤ أحد على لقائه في معركة، ويصور ذلك فــي قوله:[3]

(الطويل)

ومـــا هـــزَّ قـــومٌ رايـــةً للقائِنـــا مـــن النـــاسِ إلا دَارُهـــم مُلئـــت دمـــاً

ويفتخر بكثرة القادة الذين قتلهم، وألقى بهم في ساحات المعركة، وتركهم غارقين بدمائهم فيقول[4]:

---

(1) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص 203

(2) المصدر السابق، ص 138

(3) المصدر السابق، ص139

(4) المصدر السابق، ص 104

(الوافر)

وكـــمْ مِـــن سَـــيّدٍ خَلّيـــتُ مُلقـــى   يحُـــرّكُ فـــي الـــدّما قـــدماً وســـاقا

ويصرّح بعد ذلك بأنه دائم اللهفة للقتال والمعارك ولقاء أعدائه ليـروي ظمـأ رمحـه المتعطش للدماء، ويقول:[1]

(الطويل)

فدونكَ يـا عَمـرَوَ بـن وُدٍّ ولا تَحُـلْ   فرمحـيَ ظمـآنٌ لِـدَمِّ الأشـاوسِ

كما تشكل الدماء في نظر عنترة حصانة للمرء من أن يضام أو أن يحيا بـذل وغُصـة وخنوع، وبالقدر الذي تتمكن فيه من إسالة دم الخصم وإهراقه بالقدر الذي تحمي نفسك وتنقـذها من الذلّ وتبعاته الجسدية والنفسية، ومن لم يكن كذلك فإنه حين يموت لا يستحق أن تذرف دمعة لرحيله، يقول:[2]

(الطويل)

وَمن لم يُـروِّ رُمحَـهُ مِـن دَمِ العـدا   إذا اشـتَبَكت سُـمرُ القَنـا بالقَواضِـب

وَيُعطِ القنا الخطيّ في الحـربِ حَقَّـهُ   ويبرِ بحدِّ السَّـيفِ عُـرضَ المناكـب

يعـيشُ كمـا عـاشَ الـذليلُ بِغُصَّـةٍ   وإن مات لا يُجـري دمـوعَ النـوادب

كما يفخر عنترة بأنه ابن للحرب، متعوّد الطعان والقتل والضرب، حتى إنـه لا شـيء يعذب في فمه ويحلو كما هو طعم الدم الذي يرمز للغلبة والانتصار على العـدو والنيـل منـه وإسالة دمائه فيقول:[3]

(الطويل)

بهاليلُ مثل الأُسـدِ فـي كُـلِّ مَـوطِنٍ   كأَنَّ دَمَ الأعداءِ فـي فَمِهِـم شَـهدُ [4]

([1]) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص 88

([2]) المصدر السابق، ص 37

([3]) المصدر السابق،ص 56

([4]) البهاليل:جمع بهلول وهو السيد الجامع لصفات الخير

وقد كان العرب يتمادحون بالموت على أطراف الرماح، وتحت ظلال السيوف، ويتهاجون بالموت على الفراش، فالميتة الكريمة عند الفارس الجاهلي أن تخرج روحه مع دمِه النازف لا من أنفه كما عند الإنسان العاجز الضعيف، فسيل الدماء يعني القوة والمقاومة والحركة، يقول السموأل:[1]

(الطويل)

ومـا مـاتَ مِنّـا سَـيّدٌ حَتـفَ أنفِـه ولا طُـلّ منّـا حيـثُ كـانَ قتيـلُ

تسـيلُ علـى حـدِّ الظُّبـات نُفوسُـنا وليسَت علـى غيـرِ الظُّبـات تسـيلُ

فالإقدام لا يدني الأجل، والحياة الجديرة بالبقيا هي حياة الفتوة والمجد والشجاعة، فمن العار أن يفر المحارب من لقاء أعدائه، يقول الحصين بن الحمام المري:[2]

(الطويل)

تَـأخرتُ أسـتبقي الحيـاةَ فلـم أجـد لنفسـي حيـاةً مثـلَ أن أتقـدَّما

فلسنا على الأعقـابِ تَـدمى كُلومُنـا ولكـن علـى أقـدامِنا نقطـرُ الـدِّما

فالدم يكشف بما يشكله من دلالة رمزية عن شجاعة الشاعر وإقدامه في المعركة وقد أيقن أن الحياة في الإقدام والبسالة وخوض غمار المعارك،وقد وظف الدم لإبراز هذه الصفة في شخصه ونفسه من خلال قوله:إن الدم لا يسيل على أعقابنا بمعنى أننا لا نصاب بجروح في أدبارنا.

كما يصور الدم حجم المعركة وشراستها، وكنى الشاعر عامر بن الطفيل عن ذلك بقوله:" ونخضب يوم الروع أسيافنا دما"، فهي معركة يسيل فيها دم كثير، وتحنى به السيوف، كما أنه ختم أبياته بذكر الدم وقد جاء معبراً أصدق تعبير عن حالة الخوف والرعب التي أصابت

([1]) السموأل:**ديوانه مع عروة بن الورد**، ص 91

([2]) البصري، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين: **الحماسة البصرية**،اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه مختار الدين أحمد،ط 1، 1964،51/1

نساء حيٍّ أغاروا عليه، حتى بالت النساء الحوامل دماً، وبذا يكشف الدم عن هول المعركة إلى الحد الذي تجهض فيه النساء الحوامل وتضع حملها ويسيل دمها عن ولادة مبكرة، يقول عامر بن الطفيل:[1]

(الطويل)

أَلَسنا نقودُ الخيلَ قُبّاً عوابساً ونُخْضِبُ يومَ الرّوعِ أَسيافَنا دما[2]

ونَحمي الذِّمارَ حينَ يَشتجرُ القَنا ونثني عن السِّربِ الرَعيلَ المُسوّما

ونَستَلبُ الحُوّ العوابِسَ كالقنا سَواهِمَ يحملنَ الوشيجَ المقوّما

ونحنُ صَبحنا حيَّ أسماءَ غارةً أبالَت حَبالى الحَيّ من وَقعِها دماً

ويستعين حسان بن ثابت بالدم وما يحمله من دلالة رمزية لهول المعركة واشتدادها ليكشف عن شجاعته ومن معه، وتمثلهم بالحلم في مواجهة الجهال ويشبه الحرب بالناقة إذا حُلَّ صرارها فحلبوها درت، فكذلك الحرب إذا هيجت هاجت وسالت الدماء بغزارة، يقول[3]:

(الطويل)

وَنحنُ إِذا ما الحربُ حُلَّ صِرارُها وجادَت على الحُلاّب بالموتِ والدّمِ[4]

ولم يُرجَ إلاّ كُلُّ أروعَ ماجدٍ شديدُ القُوى ذي عزّةٍ وتَكرّمِ

نكونُ زِمامَ القائدينَ إلى الوغى إذا الفَشِلُ الرِّعْديدُ لم يَتَقَدَّمِ

فنحنُ كذاكَ الدَّهرِ ما هَبَّتِ الصَّبا نعودُ على جُهالِهم بالتحلُّمِ

ويدلّل حسان على شجاعة أبناء قومه بأن أشاجعهم عارية من اللحم غير غليظة لكثرة ممارستهم الحروب، وإذا جرح أحدهم سال دمه برائحة المسك، ويريد بذلك أنهم ملوك، يقول[5]:

([1]) عامر بن الطفيل: **ديوانه**، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، (د.ط)، بيروت: دار صادر، 1979، ص 128،129

([2]) القبّ:من الخيل، الضوامر البطون

([3]) حسان بن ثابت:**ديوانه**، شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد أ. مهنا، ط 4، لبنان / بيروت:دار الكتب العلمية،1994، ص 234

([4]) الصرار: خيط يشد فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها

([5]) حسان بن ثابت: **ديوانه**، ص 250

(الطويل)

بِكــلِّ فتـــى عـــاري الأشـــاجعِ لاحُـــهُ   قِراعُ الكُماة ِ يَرشَحُ المِســـكُ والـــدّما[1]

ويعتمد المتلمس الضبعي على الدم ليبين نقاء جنس قومه، وتميزهم من غيـــرهم وتـــرفعهم وعلوهم، من خلال رفض اختلاط دمائهم بدماء الآخرين بقوله[2]:

(الطويل)

أَحـــارثُ إنّـــا لـــو تُشـــاطُ دِماؤُنـــا   تَـــزَيّلنَ حتَّـــى لا يَمَـــسَّ دمٌ دمـــا[3]

أَمُنـــتقلاً مِـــن آلِ بهثـــةَ خِلتنـــي   ألا إنّنـــي مِـــنهُمْ وإن كُنـــتُ أينمـــا

ألا إنَّني مِـــنهُمْ وَعِرضِـــيَ عرضُـــهم   كذي الأنـــفِ يَحمـــي أنفَـــهُ أن يُكشَّـــما

أما الأخنس فيفاخر بأن قبيلته أدرى الناس بضرب الأعداء، فلا يضـــربون إلا الـــرئيس اللامع، الذي يسيل دمه على وجهه كأنه طرائق حمر فيقول:[4]

(الطويل)

هُم يضـــربونَ الكَـــبشَ يَبـــرقُ بَيضُـــه   علـــى وجهِـــهِ مِـــن الـــدِّماءِ سَـــبائبُ

ويؤيده في ذلك زهير بن أبي سلمى، فإذا دارت رحى الحرب يقتلون من أعدائهم، لكـــن لا يشفي غليلهم إلا دماء الرؤساء و القادة، يقول:[5]

(الطويل)

وإِن يُقتَلـــــوا فيُشـــــتَفى بِـــــدمائِهم   وكـــانوا قـــديماً مِـــن منايـــاهُمُ القَتـــلُ

([1]) الأشاجع:جمع أشجع، وهو العصب الممدود فوق السلامي من بين الرسغ إلى أصول الأصابع فوق ظهر الكف

([2]) الملتمس الضبعي: **ديوانه**،تحقيق حسن كامل الصيرفي، (د. ط)، معهد المخطوطات العربية، ص 16

([3]) تشاط: أشاطه وأشاط بدمه: عرضّه للقتل.

([4]) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة**،ط3،مصر:مكتبة السعادة،1927، 218/1

([5]) زهير بن أبي سلمى : **ديوانه**، تحقيق وشرح كرم البستاني، (د.ط)، بيروت: دار صـــادر للطباعـــة والنشـــر، 1960، ص59

وكان الشعراء يجهدون أنفسهم في رسم صورة هائلة لقوة الممدوح وشـجاعته متكئـين على الدم، ومن ذلك ما مدح به النابغة عمر بن الحارث الغسانيّ، فمن شجاعة الممدوح أن يثـق الشاعر بقدرته على قنص أعدائه في كل معترك وإسالة دمهم، بل أن تثق طيور السـماء بهـذه القدرة، فتلاحق الجيش لتصيب من جثث الأعداء، وتنظر بمآخر عيونها الضـيقة متلهفـةً إلـى دمائهم، يقول[1]:

(الطويل)

يُصـاحِبنَهُم حتّـى يُغـرنَ مُغـارهَم   مِنَ الضـّاريات، بالـدّماءِ الـدّوارِبِ[2]

تَراهُنَّ خَلـفَ القـومِ خُـزراً عُيونُهـا   جُلوسَ الشّيوخِ في ثيـابِ المرائـبِ[3]

جَـوانحَ، قـد أيقـنَ أنَّ قَبيلَـهُ   إذا مـا التقـى الجَمعـانِ، أوّلُ غالـبِ

لَهُـنَّ علـيهمْ عـادةٌ قـد عَرَفنَهـا   إذا عُـرّضَ الخَطِـيُّ فَـوقَ الكواثـبِ

علـى عارفـاتٍ للطِّعـانِ، عَـوابسٍ   بهـنّ كُلـومٌ بـين دامٍ وجالـبِ

ومن هذه الصور أيضا تشبيه القتال الكلابيّ للممدوح وقد نعر منه الدم وتدفق بأسد قوي يرتدي ثوباً مصبوغاً بالزعفران، وذلك في قوله[4]:

(الكامل)

ضَـارٍ بِـهِ عَلَـقُ الـدِّماءِ كَأَنَّـهُ   رِئبـالُ مُلـكٍ فـي قَبـاءٍ مُجْسَـدِ

أما المهلهل بن ربيعة فيفخر بقوته وشجاعته ويرثي أخاه في حرب داحس والغبراء فهو لم يبرح ساحة المعركة حتى ترك بجيراً غارقاً في دمه الذي يشبه العبير فيقول:[5]

([1]) النابغة الذبياني: **ديوانه**، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، ط 2، لبنان / بيروت: دار المعرفة،2005، ص 14

([2]) الدوارب: المتعودات

([3]) الخزر:الذي ينظر بمؤخر عينه

([4]) ابن ميمون، محمد بن المبارك بن محمد: **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق محمد نبيل الطريفي،ط1،بيروت:دار صادر للطباعة والنشر،3/ 290،1999

([5]) المهلهل بن ربيعة. **ديوانه**، شرح وتقديم طلال حرب،(د.ط)،الدار العالمية،(د.ت)، ص 39

(الوافر)

وأنَّـــــي قــــد تَركـــــتُ بـــــواردِاتٍ   بُجَيـــــراً فـــــي دَمٍ مِثـــــلَ العبيـــــر[1]

ونجد صورة شبيهة بهذه الصورة عند الأسود بن عمرو بن كلثوم الذي يفخر بأنـــه لـــم يغادر أرض المعركة حتى لطَّخ نحر عدوه بالدماء لكثرة ما أوقع به من ضربات فيقول[2]:

(الكامل)

ولَقد تَركتُ القِرنَ فــي يــومِ الــوَغى   وَالنَّحـــــرُ مِنـــــهُ بالــــدِّماءِ مُرجَّـــــلُ

ومما افتخر به الشعراء في مجال الخبرة الحربية إجهاد الخيل، فها هو ذا عنترة يفتخـــر بما أصاب فرسه من إعياء وجهد ومشقة وجروح لكثرة اقتحامه الحروب، ولما أصابه من سهام الأعداء التي جرحته ولطَّخته بالدم، حتى لقد شكا إليه الفرس ما كلفه إياه مـــن عنـــاء بعبرتـــه وصهيله، يقول[3]:

(الكامل)

مازلـــــتُ أَرمـــــيهِم بِثُغـــــرَةِ نَحـــــرِهِ   ولَبانِـــــهِ حتّـــــى تَســـــربَلَ بِالـــــدَّمِ

فَـــــازوَرَّ مِـــــن وَقـــــعِ القَنـــــا بِلَبانِـــــهِ   وَشَـــــكَا إِلـــــيَّ بِعبـــــرَةٍ وَتَحمحُـــــمِ

لو كانَ يَدري مـــا المحـــاورةُ اشـــتكى   أَو كـــانَ يـــدري مـــا جَـــوابُ تَكلُّمـــي

والخيـــلُ تَقـــتَحمُ الخَبـــارَ عَوابســـاً   مـــا بـــينَ شـــيظمةٍ وَأَجـــردَ شـــيظمِ

وقد توارد الشعراء على هذا المعنى وأكثروا من وصف الفرس المخضبة بالدماء كنايـــة عن كثرة القتال، فقد شبه طرفة الدماء على الخيل بنبات شقائق النعمان الأحمـــر، وذلـــك فـــي قوله[4]:

([1]) واردات:موضع في مكة

([2]) الأسود بن عمرو بن كلثوم: **ديوان عمرو بن كلثوم**، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، ط1،بيروت: دار الكتاب العربي، 1991،ص 152

([3]) عنترة بن شداد:**شرح ديوانه**، ص 183

([4]) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 50

(الرمل)

وتســـــاقى القـــــومُ كأســــــاً مُـــــرةً   وعـــــلا الخيـــــل دِمـــــاءٌ كَالشِّـــــقر

ورسم عمرو بن الأهتم صورة فنية أخّاذة للجياد الضامرة التي ألفت مهاجمة الأعــداء غير آبهةٍ بكثرة الجراح التي تصيبها ولا بالدماء الغزيرة التي تنزف من أعناقها _ وقد شــبهها عمرو بالحبر الأحمر _حتى يتوّهم الناظر إليها أنها ثياب تكسوها فيقول[1]:

(البسيط)

حتّـــى تَراهـــا أســـابيٌّ الـــدِّماء بِهـــا   كَأَنَّمـــا كُسِـــيَت حِبـــراً هَواديهـــا

أما فرس الطفيل الغنوي فهي عريقة أصيلة، تخوض الحرب كما يخوضـــها الفـــارس، وتخرج منها محجلةً الأيدي دماً بعد وطئها القتلى حتى يبلغ الدم منها المخضب، وذلك دلالة على كثرة الدماء وكثرة القتلى في ساحات المعارك، يقول[2]:

(الطويل)

طَوامحُ بـــالطَّرفِ الظّـــراب إذا بَـــدَت   مُحَجّلـــةَ الأيـــدي دمـــاً بالمخضَّـــب

ولم يبرح المهلهل بن ربيعة ساحة المعركة حتى انتعل الورد من دماء القتلى وهذا دلالة على كثرة الدماء يقول[3]:

(المنسرح)

ولـــم أَرُم عَرَصَـــةَ الكتيبـــةِ حتّـــى أن   تَعَـــلَ الـــوَرْدُ مِـــن دمـــاءٍ نعـــالا[4]

ويقول سلامة بن جندل[5]:

([1]) عمرو بن الأهتم: **شعره مع الزبرقان بن بـــدر**، دراســـة وتحقيـــق ســـعود محمـــد عبـــد الجبـــار، ط 1، مؤسســـة الرسالة،1984،ص 101

([2]) الطفيل الغنوي: **ديوانه**، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، ط1، بيروت: دار صادر،1997، ص 49

([3]) المهلهل بن ربيعة: **ديوانه**، ص 64

([4]) الورد: الفرس الضارب إلى الحمرة

([5]) سلامة بن جندل: **ديوانه**، صنعة محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قباوة،ط1،لبنـــان /بيـــروت:دار الكتـــب العلمية، ص152

(الكامل)

والخيــلُ تعلــمُ مــن يَبُــلُّ نُحورَهــا بِـــدَمٍ كمـــاءِ العَنـــدمِ المُهـــرَاق

إن هذا الدم يشبه ماء العندم هو الذي يمنح الخيول قوتها، والخيل تعلم أن ذلك الفــارس هو فقط الذي يساعدها لاكتساب هذه القوة التي هي في حاجة إليها مثل حاجتها للماء والحياة.

كما افتخر الشعراء بكثرة الدماء على أسلحتهم، وهذا دليل قوتهم وشــجاعتهم، وكثــرة القتلى والجرحى. وقد كان عنترة بن شداد من أكثر الشعراء الذين تفننوا في وصف الدماء على عدة البطولة من رماح وسيوف ودروع، فهو البطل الذي يُعني بالسلاح و آلة الحرب فقد وصف الدماء على رمحه وشبهها بالخضاب وذلك في قوله[1]:

(الكامل)

ورأيت رُمحي فــي القُلــوبِ مُحكّمــاً وعليــهِ مــن فــيضِ الــدِّماءِ نُقــوشُ

ألقى صدورَ الخيــلِ وهــي عــوابسٌ وَأنـــا ضـــحوكٌ نَحوهـــا وبشـــوشُ

إنه مقبل في المعركة مدبر، يوقع القتل في الأعداء، ويسيل من دمائهم حتــى يتخضّــب رمحه، وهو بذلك فرح ومسرور لا ينتابه أي إحساس بالخوف والفزع، وإنما هو في ذروة الفرح والسعادة. وتتكرر هذه الصور عنده حين يصف الدماء التي تعلو الــدروع فتجعلهــا كــالعقيق الأحمر يقول[2]:

ودِمــاؤُهم فــوقَ الــدُّروعِ تَخضَّــبت منهــا فصــارت كــالعقيق الأحمــر

(الكامل)

ويصف الدماء على سيفه فيقول[3]:

([1]) عنترة بن شداد:**شرح ديوانه**، ص 89

([2]) المصدر السابق، ص 79

([3]) المصدر السابق، ص 82

(الطويل)

هزمــتُ تَميمــاً ثُــمَ جنــدلتُ كَبْشَــهُم   وعدتُ وسيفي مــن دَمِ القــومِ أحمــرُ

كما زرع عنترة الغزل في تربة المعركة التي فتحت له ثغرها، فتذكر ابنة عمــه عبلــة وهو في معمعة المعركة فأقبل على الطعن، والدم يقطر من سيفه لشدة المعركة ولكثرة ما قتــل من الأعداء وذلك في قوله(1):

(الكامل)

ولَقَــد ذَكرتُــكِ و الرِّمــاحُ نَواهــلٌ   مِنّي،وبيضُ الهنــدِ تَقطــرُ مِــن دَمــي

ويتردد وصف الدماء على أدوات القتال عند كثير من الشعراء فيشبه المخبــل الســعدي الدماء على السيوف بالمطر لكثرتها، وهذا دلالة على قوته وكثرة ما أراق من دمــاء الأعــداء فيقول(2):

(الطويل)

وإنّا أُنــاسٌ تَعــرفُ الخيــلُ زَجرَنــا   إذا أمطرت سُــحبُ الصَّــوارمِ بالــدَّم

كما يقول لبيد بن ربيعة بأن محامل سيوفهم قد تلطخت بالدماء، وهذا كناية عن كثرة ما سفكوا من دم الأعداء وذلك في قوله:(3)

(الطويل)

ضَربنا سُــراةَ القــومِ حتّــى تَوجَّهــوا   سِــراعاً وقــد بَــلَّ النَّجيــعُ المحــاملا

وتتكرر مثل هذه الصور عند معظم الشعراء الجاهليين فيقول زهير بن أبي سلمى:(4)

---

(1) عنترة بن شداد:**شرح ديوانه،** ص 191

(2) الضامن، حاتم صالح: **عشرة شعراء مقلون،** (د.ط) ، بغداد: وزارة التعليم العالي و البحث العلمي، 1995، ص 73

(3) لبيد بن ربيعة: **ديوانه،** ص 143

(4) زهير بن أبي سلمى: **ديوانه،** ص18

(الكامل)

ولَــنِعمَ حشــوُ الــدِّرعِ أنــتَ لنــا إذا نَهلــت مــن العلــق الرِّمــاحُ وعلّــتِ

كما تشبه الخنساء الدم على السنان بالخضاب وذلك في قولها:[1]

(مجزوء الكامل)

خضَـــبَ السِّـــنانَ بطَعنـــةٍ فـــالنَّفسُ يُحفِزُهـــا الـــنّفسُ

ويؤيدها في ذلك ذو الكلب الهذلي فيشبه العلق على أعالي الرماح بالخضاب فيقول:[2]

(الوافر)

فهـــذا ثـــمَّ قـــد علِمـــوا مَكـــاني إذا اختَضَـــبت مـــن العلـــق العـــوالي

الدَّم و الصَّيد

إن ضرورات الحياة، وحاجات الأفراد وملء وقت الفراغ كانت تــدفع الجــاهليِّ إلــى ممارسة الصيد بكل وسيلة، وتثير فيه الرغبة في الحصول على الحيوان بأي شكل كان، فالصيد رغبة وحاجة ؛ رغبةً للملوك والرؤساء والأثرياء للأنس والترويح عن الــنفس، وحاجــة عنــد السواد وهم فقراء في الغالب لا يملكون شيئاً،فلحم الصيد نعمة كبرى لهم وغذاء طيب لا يصــل إليهم دائماً.

وظلت هذه العملية التي مارسها الإنسان منذ فجر التاريخ حرفة تتناقلها الأجيــال حتــى العصر الجاهلي وما بعده، وطبيعي أن يضفي الشعراء على هذه الحرفة أو الهواية طابع الشــكل الأدبي، فيتعرضون لوصف أدواتها وحيوانها، وما يعتور هذا الحيوان، وما ينتابه من مخــاوف وما يصنعه الصياد للاحتيال على صيده، وما يستخدمه في ذلك من وسائل. وما يعنينا هنا هــو كيفية حضور الدّم في تلك المشاهد.

---

(1) الخنساء: **ديوانها**، ص 73

(2) السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، 118/3

يقول الشمّاخ الذبياني:[1]

(الوافر)

فَـــــوافَقُهنَّ أطلـــــسُ عـــــامِريٌّ بطَـــــيّ صَــــفائِحٍ مُتســـــانِداتِ[2]
أبـــو خمـــسٍ يَطُفْـــنَ بِـــهِ صِـــغارٍ غـــدا مِـــنهنَّ لَـــيسَ بِـــذي بتـــاتِ
مُخِفّـــاً غيـــر أســـهُمِهِ وقـــوسٍ تلـــوحُ بِهـــا دِمـــاءُ الهاديـــاتِ[3]

فالصَّياد عامريّ، دنس الثياب، قد استتر بصفائح متساندات، له خمس بنات، لا غذاء لهن يقتتن منه غير الصيد، وهو خفيف ليس له ما يثقله غير قوسه وأسهمه التي اصـطبغت بـدماء الهاديات.

وربما كان في قول الحطئية ما يؤكد ضرورة الصيد للفقراء، من خلال وصفه قطيعاً من الحمر الوحشية عِطاشاً تريد الماء، لكن الرجل اظمأ منها إلى دمائها، متلهفاً إلى صـيد إحـدى الأتن فسقطت أتان وحشية سمينة مليئة شحماً ولحماً، يقول[4]:

(الطويل)

فَـــروّى قلـــيلاً ثُـــمَّ أَحجَـــمَ بُرهَـــةً وَإِن هـــوَ لـــم يَـــذبَح فتـــاهُ فقـــد همّـــا
وقـــال: هَيـــا رَبّاهُ،ضـــيفٌ ولا قِـــرى بِحَقِّـكَ لا تحرمـــهُ تـــا الليلـــةَ اللَّحمـــا
فبينـــاهم، عنّـــت علـــى البُعـــدِ عانـــةٌ قدِ انتَظَمَت مِن خَلفِ مِسحَلِها نظمـــا[5]
ظِماءً تُريـــدُ المـــاءَ فانســـابَ نَحوَهـــا علـــى أَنَّـــهُ مِنهـــا إِلـــى دَمِهـــا أَظْمَـــا
فَأَمهَلَهـــا حتّـــى تـــروَّت عِطَاشُـــها فَأَرسَـــلَ فيهـــا مِـــن كِنانَتِـــهِ سَـــهما[6]
فَخرّت نُحـــوصٌ ذاتُ جَحـــشٍ ســـمينةٌ قد اكتنزت لحماً وقـــد طبّقـــت شـــحما

(1) الشمّاخ بن ضرار الذبياني: **ديوانه**، ص 31
(2) أطلس: وسخ، دنس الثياب، الصفائح: صفيحة السيف
(3) الهاديات: أوائل الوحوش
(4) الحطئية: **ديوانه**، ص 134
(5) عانة: أتان، المسحل: الحمار الوحشي
(6) الكنانة: جعبة من السهام التي توضع فيها

ولجأ العرب في صيدهم إلى وسائل متعددة، واحتالوا بها للإيقاع بطرائـــدهم، وأدركـــوا بتجربتهم وخبرتهم أن لكل طريدة وسيلةً تناسبها، كالسهام والرماح والكـــلاب، ومـــن أمـــارات الكلاب الجيدة عندهم أنها كثيرة الصيد، حتى يرى الدم قد اصطبغت به أكتافها، يقول حميد بـــن ثور الهلالي متحدثاً عن كلاب أحدهم:[1]

(البسيط)

فَجاءهـــا قـــانِصٌ يســـعى بِضَـــاريةٍ   ترى الـــدِّماءَ علـــى أَكتافِهـــا نَفصـــا[2]

وشأن حميد شأن لبيد الذي يشّبه الكلاب بالنُبل التي اصطبغت بالدماء ، يقول:[3]

(الطويل)

عَـــوابِسَ كالنُّشـــابِ تَـــدمى نُحورُهـــا   يَـــرينَ دمـــاءَ الهاديـــاتِ نَـــوافِلا[4]

ويعكف لبيد على رسم مشاهد الصيادين الذين أعدوا لبقرةٍ وحشيةٍ من وسائل الصيد ما يجعلهم قادرين على إصابتها، فإذا يئسوا من إصابتها بالنبال، تركوا رميهم، وأرســلوا كلابهــم المعوّدة على الصيد لتلحق بها،ولكنها تذودهن، وتقتل كلبة من الكلاب يقال لها كَساب وتلطّخهــا بالدم، وتترك أخاها سُحام قتيلاً، وتخرج في نهاية المعركة منتصرة يقول:[5]

(الكامل)

حتّـــى إذا يـــئسَ الرُّمـــاةُ وأَرسَـــلوا   غُضـــفاً دواجِـــنَ قـــافِلاً أَعصـــامُها

فَلَحِقـــنَ واعتكـــرت لهـــا مَدريّـــةٌ   كالسّـــمهريّة حَـــدُّها وتَمامُهـــا[6]

([1]) حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه** -وفيه بائية أبي دؤاد الإيادي -، تحقيق عبد العزيز الميمني، (د.ط)، القـــاهرة: الـــدار القومية للطباعة والنشر، 1965،ص 101

([2]) نفصاً: نضح الدم القليل

([3]) لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر الحتي، ط1، بيـــروت:دار الكتاب العربي، ص 138

([4]) النوافل: المغانم

([5]) لبيد بن ربيعة: **ديوانه**، ص 223

([6]) المدرية: القرون الحادة، السمهرية: الرماح

لِتـــذودَهُنَّ وَأيقَنَـــت إن لـــم تَـــذُد   أن قَـد أَحَـمَّ مَـعَ الحُتُـوفِ حِمامُهـا
فَتَقَصَّـدت مِنهـا كَسـابَ وضُـرِّجَت   بِـدمٍ وَغُـودِرَ فِـي المكـرّ سُـحَامها

كما نجد مثل هذا المشهد عند أوس بن حجر فهو يرسم صورة صياد جاء بكلابه المدربة على الصيد، ويدفعها أمامه مجتمعة، فطاردت الثور فألجأته إلى مرتفع من الأرض هرباً، ولكن الثور يصمم على القتال، ويهاجم الكلاب فيصرع سوابقها، ويحجم الباقي عن الهجوم، وتـتلطخ قرونه بدمائها، ويجري معتزاً بانتصاره عليها. يقول:(1)

(الكامل)

حتّـى أُتـيحَ لـهُ أَخـو قَـنصٍ   شَـهمٌ، يُطـرُّ ضَـوارِياً كُثُبـا
فذَأَونَـه شَـرَفاً، وكُـنّ لَـه   حتّـى تفاضَـل بينهـا جَلَبـا(2)
ذكـرَ القِتـالَ لهـا فراجَعهـا   عَـن نفسِـهِ ونُفُوسـها نَـدبا
يُنحـي الـدِّماءَ علـى تَرائِبِهـا   والقِـدَّ مَعقـوداً ومُنقَضِـبا
فَنَحـا بِشـرَّتِه لِسـابِقها   حتّـى إذا مـا رَوقُـهُ اختَضَـبا
وانقـضَّ كالـدُّرِّيءِ يتبَعُـهُ   نَقـعٌ يثـورُ تخالُـهُ طُنبـا

كما نلمح مثل هذا المنظر عند سويد بن كاهل اليشكريّ الذي جعل يصف الثور وهو يخاتل الصياد وكلابه، وهي تخاتله ولكن هذه الكلاب لم يخالطنه خوفاً، بل قاربنه لأنه إذا رجع عليهن جرحهن بقرنه ودماهن، يقول:(3)

(الرمل)

فَـرآهُنَّ ولَمّـا يَسْـتَبِن   وَكِـلابُ الصَّـيد فـيهنَّ جُشَّـعْ
ثُـمَّ ولّـى وَجَنابـانِ لَـهُ   مِـن غُبـارٍ أكـدريٌّ واتَّـدعْ
فَتَـراهُنَّ علـى مهلتِـهِ   يَخْتَلِـينَ الأرضَ وَالشـاةُ يَلَـعْ

---

(1) أوس بن حجر: **ديوانه،** ص 3

(2) فذأونه: طردنه

(3) الضبي، المفضل بن محمد بن لعلى بن عامر بن سالم: **المفضليات،** ص196،197

دانِيـــــاتٍ مـــــا تَلَبّســـــنَ بِــــهِ   واثِقـــــاتٍ بِـــــدماءٍ إن رَجَـــــعْ
يُرهِـــــبُ الشَّـــــدَّ إذا أَرهَقنــــهُ   وَإِذا بَـــــرّزَ مِـــــنهُنَّ رَبَـــــعْ

والمشهد العام لصيد البقرة الوحشية يتكرر عند معظم الشعراء، لكن زهيراً يضيف إليــه شيئاً آخر يزيد المعركة عنفاً، ويجعل خاتمتها أوجع وأفجع، فللبقرة في العادة ولد صــغير قــد ضاع منها. أو أضلها عنه الصيادون، فتأكله السباع والوحوش الضارية، وتبحث عنه البقرة في كل مكان وكل ما تجده دمه المسفوح على الأرض، وتحس البقرة في أثناء تطوافها أن الصيادين قد حاصروها من كل مكان، وسدوا عليها منافذ النجاة، لكنها تجري ناجية بحياتها، وقــد صــبغ صدرها بالدماء لما أصابها من جروح لهجوم الكلاب عليها وهجومها عليهنّ، وقد صور زهيــر كل ذلك في قوله:[1]

(الطويل)

أَضـــاعَت فَلَـــم تُغفَـــر لهـــا خَلَواتُهـــا   فلاقَـــت بَيانـــاً عنـــدَ آخِـــر مَعهـــدِ
دماً عندَ شِـــلو تحجُـــلُ الطّيـــرُ حولَـــهُ   وَبَضـــعَ لِحـــامٍ فـــي إهـــابٍ مُقَـــدّدِ[2]
وَيَـــنفُضُ عنهـــا غَيـــبَ كُـــلِّ خَميلـــةٍ   وَيَخشى رُماة الغوثِ مِن كُلِّ مَرصَـــدِ[3]
فَجالـــت علـــى وحشـــيّها وكَأَنَّهـــا   مُسَـــربَلَةٌ فـــي رازِقـــيّ مُعضَّـــدِ
وشـــاروا بهـــا مـــن جانبيهـــا كليهمـــا   وَجالَت وإن يُجْشِـمْنَها الشَّـدَّ تَجْهَـدِ[4]
كـــأَنَّ دمـــاءَ المُؤسَـــداتِ بنحرِهـــا   أَطِبّـــةُ صَـــرفٍ فـــي قضـــيم مُســـرّدِ

ويشاركه الأعشى في إضافة هذا العنصر إلى مشهد الصراع بـــين البقـــرة والكـــلاب، فيقول[5]:

([1]) زهير بن أبي سلمى:**ديوانه**، اعتنى به و شرحه حمدو طماس،ط2، لبنان:دار المعرفة،2005، ص23،24
([2]) الشلو: بقية الجسد، الإهاب: الجلد
([3]) الخميلة: الرملة ذات الشجر
([4]) يجشمنها: يكلفنها أكثر ما تطيق
([5]) الأعشى: **ديوانه**، ص 122

(البسيط)

أَهوى لها ضابِئٌ في الأرضِ مُفْـتَحِصٌ   لِلَّحْمِ قُدْماً خفيُّ الشَّـخصِ قـد خشـعا
فَظلَّ يَخْـدَعُها عـن نفـسِ واحِـدها   في أرضِ فَـيءٍ بِفعـلٍ مِثْلُـهُ خـدعا
حانـت ليفجَعَهـا بـابنٍ وتُطعِمُـهُ   لحماً، فقد أَطعَمَت لَحمـاً، وقـد فجعـا
فَظَـلَّ يَأكُـلُ منهـا، وَهْـيَ راتعـةٌ   حَـدَّ النّهـارِ تُراعـي ثيـرةً رُتَعـا[1]
حتّى إذا فِيقةٌ في ضِـرعِها اجتمعـت   جاءت لتُرضِعَ شِقَّ النَّفسِ لـو رَضَـعَا
عجْلاً إلـى المعهـدِ الأدنـى ففاجأهـا   أَقطاعُ مِسـكٍ وسـافت مـن دمٍ دُفَعَـا

فالبقرة آمنة بين رفيقاتها راتعة بين الثيران، لكن هذا الأمان كاذب لأنها تركت جزءاً من نفسها دون حماية (ولدها)، وهي تظن أن بعده عن القطيع أكثر أمناً له لكن يأتيه سبع في صورة مخادعة وقدّر لها قضاء قاس، وكتب عليها أن تطعم لحمها هذا الوحش، وقدّر لهـا أن يفجعهـا بولدها وعندما جاءت لترضعه لم تر إلا بقايا جلده وبقعاً من الدم.

كما كان العرب يصيدون الوعول والماعز الجبلي، ويتردد وصفهم لها في أشعارهم، قال عدي بن زيد العبادي[2]:

(الرمل)

وَتَركـتُ العيـرَ يـدمي نَحـرُهُ   ونُحوصـاً سَـمحَجاً فيهـا عَقَـقْ[3]

فالشاعر لم يترفع عن ممارسة الصيد، واقتناصه أتاناً طويلة الظهر فيها الحمل، أرادهـا بعد أن أصاب حماراً وحشياً قد ترك الدم يسيل ويرمي نحره.

ويشبه سلامة بن جندل أعناق الخيل لما عليها من الدم بالحجارة التي تذبح عليها النذور والقرابين، يقول:[4]

([1]) ثيرة: جميع ثور وتجمع أيضا على ثيران
([2]) عدي بن زيد العبادي: **ديوانه**، محمد جبار المعيبد، سلسلة كتب التراث،(د.ت)، ص 149
([3]) السمحج: الأتان طويلة الظهر، العقق: الحمل
([4]) سلامة بن جندل: **ديوانه**، ص 65

(البسيط)

والعاديـــاتُ أَســـابيُّ الـــدِّماءِ بِهـــا	كَـــأَنَّ أَعناقَهـــا أنصـــابُ ترجيـــبِ

الدم والثأر

ذكرنا في الفصل الأول، أن الثأر هو القانون الأكبر الذي تحكّم بالجاهليين، وأن الـــدم لا يغسل إلا بالدم. ولقد يَجِدُّ الرجل ليثأر لقريب له، وهو على ثقة أنه إن قُتل فسيثأر لـــه قريبـــه، فقانون النظام القبلي قائم على (أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)، ولم يكن يشفي صـــدورهم إلا أن تنهل رماحهم من دماء أقاربهم الذين قَتلوا من هو أقرب إليهم، وبهذا تتوالى الثارات داخل القبيلة الواحدة، فالصعلوك تأبط شراً، يتوعد أعداءه بأنَّ القتيل الذي دون سلع لن يـــذهب دمـــه هـــدراً وسيثأر له، ويتوقع أن يثأر له ابن أخته إن هلك يقول[1]:

(المديد)

إنَّ بالشِّـــعبِ الّـــذي دونَ سَـــلْعٍ	لَقتـــيلاً دَمُـــهُ مـــا يُطَـــلُّ[2]
خلَّـــفَ العِـــبءَ عَلـــيَّ و ولّـــى	أنـــا بِالعِـــبءِ لَـــهُ مُســـتَقِلُّ
ووراءَ الثَّـــأرِ مِنّـــي ابـــنُ أُخـــتٍ	مَصِـــعٌ عُقدَتُـــهُ مـــا تُحَـــلُّ[3]
مُطـــرِقٌ يَرشَـــحُ سَـــمّاً كمـــا أطـ	رقَ أفعـــى يَنفـــثُ السَّـــمَ صِـــلُّ[4]

وهكذا يصبح الدم عبئاً ثقيلاً على كاهل من يتصدر لهذا الحمل، ويغدو الدم رمزاً للثـــأر وتجسيداً لقانون قبلي لم تزل آثاره بادية للعيان حتى يومنا هذا، فالدم يطلب الدم، والثأر يستدعي ثأراً آخر، ولا يزال العقل العربي مسكوناً بنظرية أن الدم لا يمسح عاره إلا الدم.

ومن الشعراء الذين فاخروا بالثأر من العدو باعث بن صريم اليشكريّ، فقد لبث قبل أن يقتص من بني أسيد قتلة أخيه، يتميز من الغيظ، فانقض عليهم، وقتل قتلة أخيه، وأجـــرى مـــن دمائهم ما يملأ الدلاء الواسعة، ويفرغ الصدر من حقده المستعر، فبقدر مـــا يريـــق مـــن دمـــاء

([1]) تأبط شراً:**ديوانه**، اعتني به عبد الرحمن المصطاوي، ط1، بيروت: دار المعرفة، 2003، ص 51

([2]) سَلْع: اسم موضع معروف

([3]) مَصِعٌ: ذو القتال الشديد الذي لا يلين

([4]) صِلٌّ: كل خبيث من الأفاعي

الآخرين بقدر ما يشفي صدره ويمحو عاره، وهكذا يتحول الدم إلى وسيلة لإشــفاء الصــدور، ومحو ما علق بالذكر من عار وسمعة سيئة. يقول:[1]

(الكامل)

سـائلٌ أُسَيْدَ هل ثأرتُ بوائلٍ أم هَل شَفَيتُ النَّفسَ مِن بَلبالِها[2]

إذ أرسَلوني مائِحاً بِدلائِهم فملأتُها عَلَقاً إلى أسبالِها[3]

فهم دائماً على وتر، وحياتهم كلها حرب، فإما أن يثأروا لأنفسهم، وإما أن يُثـأَرَ مـنهم، وكل ذلك عن طريق سفك الدم الذي هو عنوان الثأر وجـوهره ومحـوره، يقـول دريـد بـن الصِّمة[4]:

(الطويل)

أبى القتلُ إلا آلَ صِمّةَ إنّهم أبَوْا غَيرهُ والقدرُ يجري إلى القَدْرِ

فإمّا تَرينا لا تزالُ دماؤُنا لدى واترٍ يشقى بها آخر الدّهْرِ

يُغارُ عَلينا واترينَ فيُشتفى بِنا إن أُصِبنا، أو نُغيرُ على وتْر

وها هو ذا امرؤ القيس يتهدد بني أسد بأنه سيثأر منهم إن قتلـوا أحـداً مـن أقاربـه، وسيطالب بدمائهم المسفوكة يقول[5]:

(المتقارب)

فإن تَدفنوا الدّاءَ لا نُخفهِ وإن تَبعثُوا الحربَ لا نَقعدِ

بأيِّ علاقِتنا تَرغبون أَعن دَمِ عَمروٍ على مَرثَدِ؟[6]

فإن تَقتُلونا نُقَتّلْكُمُ وإن تَقصِدوا لدمٍ نَقصِدِ

([1]) الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة**، 148/1

([2]) بلبالها: الاهتمام بطلب الثأر

([3]) أسبالها: أعاليها

([4]) دريد بن الصمة: **ديوانه**، تحقيق عمر عبد الرسول، ذخائر العرب 59، مصر: دار المعارف، (د.ت)،ص 96

([5]) امرؤ القيس: **ديوانه**،اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطاوي،ط2،لبنان/بيروت:دار المعرفة، 2004،ص 88

([6]) علاقتنا: ما يتعلقوا به من طلب الثأر

وقد كان قبول الديات عاراً وذلاً ما بعده ذل، فالدم لا يشفيهم منه إلا الدم، وكأنما أصبح سفكه غريزة من غرائزهم لا تزايلهم فهم يطلبونه ويتعطشون إليه تعطشاً شديداً على شاكلة تأبط شراً الذي لا ينام الليل لشجاعته، وأكثر همه طلب الثأر، أو ملاقاة الفرسان لممارسة الحرب، إنّه الدم يذهب الكرى عن العيون، والراحة عن النفوس ويغدو الثأر غاية الغايات والشغل الذي يشغل الفرسان ويُذهب عنهم لذة الحياة ومتاعها، فلا سعادة دون إدراكه ولا راحة دون تحقيقه يقول:[1]

(الطويل)

وقالوا لها لا تُنكحِيهِ فإنَّهُ ... لأوَّلِ نَصْلٍ أن يُلاقي مَجمعاً[2]

فلم تَر مِن رأيٍ فتيلاً وحاذَرت ... تأيُّمَها مِن لابس اللّيلِ أروعا

قليلُ غِرارِ النَّومِ أكبرهَمّهِ ... دمُ الثّأرِ أو يَلقى كَميّاً مُسفَّعاً

يُماصِعُهُ كُلٌّ يُشجّعُ قومُهُ ... وما ضَربُهُ هامَ العِدا ليُشجّعا[3]

وقد اتخذ الشعراء من قبول الديات وأدائها سبباً للهجاء، فهذا كعب بن زهير يهجو بني كنانة ويعّيرهم لأن دماء قتلاهم لا دية لها، وفي المقابل هم يدفعون ديات القتلى من أعدائهم وهذا في رأي الشاعر قمة الذل والعار يقول:[4]

(الكامل)

أَبلِغ كنانةَ غَثّها وسَمينَها ... الباذلينَ رِباعها بالقاطنِ

أَنَّ المذلةَ أن تظلَّ دِماؤكُمْ ... ودماءُ عَوفٍ ضامنٌ في العاهنِ

أموالُكم عِوَضٌ لَهم بدمائكُمْ ... ودماؤكُم كَلَفٌ لَهُمْ بظعائنِ

إلا أن بعض القبائل كانت تستيقظ في نفوس أبنائها أحياناً نوازع الخير والسلام والأمن، ويأسى بعض عقلائهم وأشرافهم مما يرى من دماء تراق، وصلات تتقطع، وذكر يقض

([1]) تأبط شرا: **ديوانه**، ص 34

([2]) نصل: المقصود بأول نصل: أي ابتداء المعركة

([3]) يماصعه: يقاتله ويحاوره، المصارعة والجدال

([4]) كعب بن زهير:ديوانه،ص13

المضاجع، فتتنازعهم نفوسهم إلى الصلح، على أن تقدَّر ديات القتلى من الفريقين أو تسلّم القبيلة القاتل للقصاص، وقد كانت وساطة الحارث بن عوف وهرم بن سنان المري بين عبس وذبيان واحتمالهما ديات القتلى مشهورة، وقد أشاد بها زهير في معلقته، يقول[1]:

(الطويل)

سَعى ساعياً غَيظ بن مُرّةَ بَعدَما تَبَزّلَ ما بينَ العشيرة بالدَّمِ

فأقسمتُ بالبيتِ الّذي طافَ حَولَهُ رجالٌ بَنوهُ مِن قُريشٍ وَجُرهمِ [2]

يميناً لنعمَ السّيدان وُجِدتُما على كُلِّ حالٍ من سَحيلٍ وَمبرم

تداركتما عبساً وذُبيانَ بَعدَما تَفانَوا، ودَقُّوا بينهم عطرَ منشم

الدَّم والخمر

شكلت الخمرة إحدى اللذات الأساسية لدى العرب كغيرهم من الشعوب، فشاعت وانتشرت بينهم، وتغلغلت في كثير من مرافق حياتهم، وأولعوا بها ليزجّوا فراغهم الطويل الممل، ولتزيدهم حماسة في الحرب، كما ارتبطت الخمر بالسخاء والأريحية، وغدت مظهراً من مظاهر الفتوة، وهما من صلب المفهوم الأخلاقي القبلي، ولعل هذا من الأسباب التي جعلتها مقبولة بين العرب.

وكما كان الدم وسيلة للحياة وعبوراً إليها، كذلك كانت الخمرة في تشبيهها بالدم إضفاءً لصفة الحياة عليها والنشوة والاتحاد مع الوجود، والوصول إلى العالم العلوي والإلهي باعتبارها دم الإله الذي صُرِعَ يشربه عابدوه لتحل فيهم روحه وقواه.

وقد ذكرها الشعراء الجاهليون ووصفوها في أشعارهم وجعلوها مقدمات لقصائدهم، وافتخروا بها وبشاربها،" وقد تكررت الصورة في وصف لون الخمرة وتشابهت عند الشعراء وقلما أورد أحدهم صورة تخرج عن التقليد الجاري حينئذٍ،كأنهم ينهلون من معين واحد

([1]) عطوي، فوزي: **شرح المعلقات العشر**. (د.ط)، لبنان / بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، 1969، ص 77

([2]) جرهم: قبيلة قديمة تزوج فيها إسماعيل عليه السلام

ويصدرون عن تصور واحد، والصورة الشائعة للونها هي التي تشبه فيهـا بـدم الـذبيح أو دم الغزال أو دم الجوف، ولم يأت التطوير فيها إلا في حدود قليلة "[1].

فيشبه حسان بن ثابت الخمرة القديمة التي احمرت حتى غدت حمرتها قانية كدم الذبيح، فيقول:[2]

(الكامل)

كالمِسـكِ تَخلِطُـهُ بمـاءِ سَـحَابَةٍ   أو عـاتِقٍ كَـدَمِ الـذَّبيحِ مُـدامِ

ويؤيده في ذلك الأعشى الذي ينسب خمرته إلى مدينة بابل العراقية المشهورة بصـناعة الخمر وذلك في قوله:[3]

(مجزوء الكامل)

كَـدَمِ الـذَّبيحِ غريبـةً   ممـا يُعتّـقُ أهـلُ بابِـلْ

ويلتقي معهم الشاعر زهير بن أبي سلمى الذي شبه لون الخمر بدم الغزال القربان القوي المقدس فيقول:[4]

(المنسرح)

ذاكَ وَقَـد أصَـبحَ الخليـلُ بِصَهـ   ـباءَ كميـتٍ صـافٍ جوانبهـا

مثـلَ دَمِ الشَّـادنِ الـذَّبيحِ إذا   أتـاقَ منهـا الـرووق شـاربها

وذهب متمم بن نويرة إلى ما ذهب إليه الشعراء السابقون فشبه الخمرة بدم الـذبيح، إلا أنه خلع عليها صفات الإشعاع والنور والصفاء، يقول[5]:

([1]) حيدر، بادية: **الخمرة في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غيـر منشـورة)،بإشـراف الجامعـة الأمريكية، بيروت، 1986، ص 133

([2]) حسان بن ثابت: **ديوانه،** ص 213

([3]) الأعشى: **ديوانه،** ص 143

([4]) زهير بن أبي سلمى: **ديوانه،** ص 107

([5]) ابن ميمون: محمد بن المبارك بن محمد: **منتهي الطلب من أشعار العرب،** 376/6

(الكامل)

جَفــنٌ مِــنَ الغربيــبِ خــالِصُ لونِــهِ   كـــدمِ الـــذَّبيحِ إذا يُشَـــنُّ مُشعشـــع[1]

ويشاركه في هذا الوصف الحادرة فيصف الخمرة بأنها كدم الغزال مشعشـعة منمقـة، وأرى أن الشعراء لم يزيدوا على هذا الوصف شيئاً يقول:[2]

(الكامل)

بَكَـــروا علـــيَّ بِسُـــحرَةٍ فَصَـــبَحتُهُم   مِن عـــاتقٍ كَـــدمِ الغـــزالِ مُشَعشِـــع[3]

وشارك أبو ذؤيب الهذلي الشعراء السابقين بأن شبه الخمرة بدم الودج الذبيح فقال:[4]

(الوافر)

إذا فُضَّــــت خَواتِمُهــــا وَفُكَّــــت   يُقـــالُ لَهـــا دمُ الـــودجِ الـــذَّبيح[5]

ويعود حسان مرة أخرى ليشبه الخمرة التي عُتِّقت عند الأنباط (وهم أهل الشـام)الـذين اشتهروا بصناعة أجود أنواع الخمور بدم الجوف، فيقول[6]:

(الخفيف)

لكُميـــتٍ كَأنّهـــا مـــن دمِ جـــوفٍ   عُتِّقـــت مِـــن سُـــلافةِ الأنبـــاط[7]

أما الحارث بن ظالم المري فيشبهها بدم الظبي، وذلك في قوله:[8]

([1]) الغربيب: الأسود من الخمر التي من العنب الأسود

([2]) الحادرة: **ديوانه**، حققه وعلق عليه الدكتور ناصر الدين الأسد، ط 2، بيروت: دار صادر، 1980، ص 58

([3]) عاتق: خمرة عتيقة

([4]) السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، 69/1

([5]) الودج: عرق في العنق

([6]) حسان بن ثابت: **ديوانه**، ص 144

([7]) الكميت: اسم من أسماء الخمرة، لونها بين السواد والحمرة

([8]) الأصفهاني: أبو الفرج: **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، ط 2، بيـروت: دار الفكـر للطباعـة والنشـر والتوزيع، (د.ت)، 129/11

(الخفيف)

مِـــن سُـــلافٍ كأنَّهـــا دمُ ظَبــــيٍ فـــي زُجـــاجٍ تَخالُـــهُ رازفينـــا

ويتكرر هذا التشبيه عند امرئ القيس الذي شرب من دَنٍّ لم يسبقه إليه أحد، لأن الساقي زاره في الصباح الباكر قبل أن يستيقظ القوم، وقدم له أجود أنواع الخمرة لونها كلون دم الغزال المقدس، وبعد أن شرب حتى ثمل أصيب بخدر ودوار فمرض وعجز عن الكلام يقول:[(1)]

(الكامل)

فَظَللـــتُ فـــي دِمَـــنِ الـــدّيارِ كَـــأَنَّني نَشـــوَانُ بَـــاكرَهُ صَـــبُوحُ مُـــدامِ

أُنُـــف كَلَـــونِ دَمِ الغـــزالِ مُعَتَّـــق مـــن خمـــرِ عانـــةَ أو كُـــرومِ شَـــبامِ

وكَـــأَنَّ شـــارِبَها أَصـــابَ لِســـانَهُ مُـــومٌ يُخـــالطُ جِســـمَهُ بسَـــقامِ

الدَّم والظَّعائن

احتلت لوحة الظعائن مساحةً كبيرة من القصيدة الجاهلية، " ومضى الشعراء يوضـــحون صورة هذه الظعائن، ويفصلون فيها، فوصفوا الستور التي تلقى – أو ترفع – علـــى الهـــوادج، وسموا أنواعها، فكانت عقلاً ورقماً وبروداً وسوى ذلك، ووقفوا عند ألوانها وصورها، فكانـــت سوداء ومخططة ومنقوشة، وكانت حمراء في أغلب الأحيان" [2].

مما دفع الشعراء تشبيهها بالدَّم، وقد تكررت هذه الصورة عند معظمهم مما يعنـــي أننـــا لسنا أمام موقف فني فردي، وإنما نحن أمام طقس جمعي.

وقد تفنن الشاعر الجاهلي في وصف نقشها والأهداب المتدلية منها، وقل أن يغفل ذكـــر الكلل والأهداب، وقد يقول الشاعر في هذا المقام إنها تشبه لون الدم، يقول زهير:[(3)]

([1]) امرؤ القيس: ديوانه،ص 151،152

([2]) روميّة، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**، ط 2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1979، ص 37

([3]) زهير بن سلمى: **ديوانه**، ص 76

(الطويل)

عَلَـــونَ بِأنمـــاطٍ عِتَـــاقٍ وَكِلّـــةٍ   ورادٍ حَواشـــيها مُشـــاكهةِ الـــدَّمِ[1]
كأنَّ فُتــاتَ العِهــنِ فــي كُــلِّ مَنــزلٍ   نَــزَلَن بِــهِ حَــبُّ الفَنــا لــم يُحطَّــمِ

فالشاعر هنا يشبه البسط والستائر الحمراء التي رفعت على الهوادج بلون الدم كما يشبه طرفة بن العبد هذه البرود الموشّاة بزركشة ملونة ومخططة بدم الذبيح فيقول:[2]

(الرمل)

عـــالَينَ رقمـــاً فـــاخراً لونُـــهُ   مِـــن عَبقَـــريٍّ كَنَجيـــعِ الـــذَّبيحِ[3]

ونستطيع أن نرى صنيعاً مثل هذا الصنيع في شعر المثقب العبدي الذي شبه الرقم الذي ارتفع فوق الهوادج بالشَّقر وذلك في قوله:[4]

(الرمل)

قَـــد عَلَـــت مِـــن فَوقِهـــا أَنماطهـــا   وَعلـــى الأَحـــداجِ رقـــمٌ كَالشَّـــقِرْ[5]

أما الحطيئة فيشبهها بدم الجوف مما يوحي بقتل أو ذبح فيقول:[6]

(الطويل)

وعـــالينَ رَقْمـــاً فَـــوقَ عَقـــمٍ كَأَنَّـــهُ   دمُ الجوفِ يَجري في المذارعِ واشِـــلُهْ[7]

ويتكرر هذا الوصف عند عبيد بن الأبرص، الذي فَصّل في أسمائها و ألوانهـا، وذكـر عتقها وكرمها يقول:[8]

([1]) الأنماط: جمع نمط، وهو ضرب من البسط

([2]) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 20

([3]) الرقم: نوع من البرود الموشاة بزركشة ملونة ومخططة

([4]) المثقب العبدي: **ديوانه**، ص 156

([5]) الشقر: الدم

([6]) الحطيئة : **ديوانه**، ص 110

([7]) المذارع: ركبة البعير

([8]) عبيد بن الأبرص: **ديوانه** ، ص 110

(البسيط)

عــــالينَ رَقْمـــاً وَأنماطـــاً مُظــاهَرَةً وكِلّــــةً بعتيـــقِ العَقــــلِ مَقرومَـــــه

للعَبْقـــريّ عليهـــا إذ غَـــدَوا صَـــبحٌ كَأنَّها مِـــن نَجيـــعِ الجـــوفِ مدمومَـــه

فهي عقل ونمط وكلة وقرام وعبقري ذات ألوان ونقوش جميلة كأنهــا صــبغت بنجيــع الجوف، ويرصد علقمة بن عبدة الأثر السحري العجيب لهذا اللون الدموي على طيور الســماء، والتي ظلت في صعود وهبوط في محاولات فاشلة لخطف هذه الحمرة وكأنَّها ظنتها دماً، وكــأن هذه الطيور تمثل أروحاً شريرة أو قوى مضادة تحاول التعرض للظعينة ومنعها مــن المســير فيقول:[1]

(البسيط)

رَدَّ الإمـــاءُ جِمـــالَ الحـــيّ فــاحتَملُوا فكُلُّهـــــا بالتَّزيــــديّات مَعكُــــوم[2]

عَقـــلاً ورقمـــاً تَظَــلُّ الطَّيــرُ تتبَعــه كأنَّـــه مــــن دَمِ الأَجـــوافِ مـــدمُوم

ولم يقتصر استخدام كلمة الدم في الإشارة إلى لون الستور والهوادج، بــل تعــداه إلـى الإشارة إلى التهاويل (أي الصور) التي على الهوادج، يقول بشر:[3]

(الطويل)

عَلَـــيهنَّ أَمثـــال خُـــدارى، وفوقَهـــا مِن الـــرّيط والـــرّقمِ التَّهاويــلُ كالــدَّمِ

ويمضي الشعراء فيجمعون أطراف الحديث طرفاً إلى طرف، ويصلون بعضه بــبعض، فيصفون نساء الظعائن المتحملات، ويرسمون لها صوراً تضج بالحياة والفتنة المشرقة فهذا قيس ابن الخطيم يصف وجه محبوبته بالحمرة، فكأن هذا الوجه ينزف دماً، وهي لا تبالي بمن يروعه جمالها فيأخذ بالتحديق بها بفضل حمرتها الدموية وجمالها الأخّاذ:[4]

([1]) علقمة بن عبدة: **ديوانه**، شرحه وعلق عليه وقوم له سعيد نسيب مكارم، ط1، بيروت: دار صادر، 1996، ص 47

([2]) التزيديات: الهوادج

([3]) بشر بن أبي خازم الأسدي:**ديوانه**، ص 193

([4]) قيس بن الخطيم:**ديوانه**، ص104

(المنسرح)

تَغتـــرقُ الطّـــرفَ وَهـــي لاهيـــةٌ   كَأنَّمـــا شَـــفَّ وَجههـــا نُـــزُفُ

أما عمرو الزبيدي فيصف ثياب المرأة التي صبغت بالزعفران وكأنها كتلة مـن الـدم الأحمر الدافئ، وهذا يدل على أن فتاته كانت مترفة مدللة، فالأحمر في الثياب كـان قلـيلاً ولا يصل إلا لأيدي الأثرياء والسادة، يقول[1]:

(الوافر)

وصِـــبْغُ ثيابهـــا فـــي زَعفَـــرانٍ   بِجُـــدّتِها كمـــا احمـــرَّ النّجيـــعُ[2]

الدم ومواضع أخرى

بعد استقراء الدواوين والمجموعات الشعرية التي وقعت بين يدي، وجدت بعض الأبيات المبثوثة هنا وهناك، لكنها لم ترتق لتشكل ظاهرة مستقلة، فارتأيت أن أجمعها تحت عنوان الـدم ومواضع أخرى.

1. دماء الملوك شفاء من داء الكلب والجنون

كان العرب إذا أصاب الرجل الكلب قطروا له رجلاً من بني ماء السماء وهو عامر بن ثعلبة الأزدي، فيشفى منه المريض، قال بعض المرييّن وهو أبو الفرج بن حنبل المري[3]:

(الوافر)

بُنـــاةُ مَكـــارم وأُســـاة كَلْـــمٍ   دِمـــاؤُهُمُ مـــن الكَلَـــب الشِّـــفاءُ

وهذا ما أكده ابن عياش الكندي حين قال لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو[4]:

([1]) عمرو بن معدي كرب الزبيدي: **شعره**،ص142

([2]) الجُدَّة: بضم الجيم: الخطة، وهي الطريقة في الثوب تخالف لونه

([3]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، 7/2

([4]) المصدر السابق، ص 7/2

(الطويل)

عَبيدُ العصــا جئِــتُم بقتــلِ رئيســكُمْ   تُريقــونَ تــاموراً شــفاءً مــن الكَلَــبْ

ودماؤهم أيضاً شفاء من داء الجنون والخبل يقول المتلمس الضبعي:[1]

(الطويل)

مــن الـــدّارميينِ الّـــذينَ دمـــاؤُهُمْ   شِــفاءٌ مــن الــدّاءِ المَجنّــةِ والخبــلْ

كما يقول عامر بن الطفيل[2]

(الطويل)

وإن أغَــز حَيـــيّ خَــثعَمٍ فــدماؤُهُمْ   شِـــفاءٌ وَخَيـــرُ الثـــأرِ للمُتـــأوِّبِ

ويقول المثقب العبدي:[3]

(الرمل)

بـــاحِريُّ الـــدَّمِ، مُـــرٌّ طَعمُـــهُ   يُبـــرِئُ الكَلْـــبَ إذا عَـــضَّ وَهَـــرّ

ويقول عوف بن الأحوص:[4]

(الوافر)

أو العنقـــاء ثعلبـــة بـــن عمـــرو   دمـــاءُ القـــومِ للكلبـــى شـــفاءُ

كما يقول عاصم بن القريَّة[5]:

(الطويل)

وداويتُـــهُ ممّـــا بِـــه مِـــن مَجَنَّـــة   دمُ ابـــن كُهـــالٍ و النَّطاســـيُّ واقــفُ

([1]) المتلمس الضبعي: **ديوانه**، ص 309

([2]) عامر بن الطفيل: **ديوانه**، ص 27

([3]) المثقب العبدي: **ديوانه**، ص 70

([4]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، 7/2

([5]) المصدر السابق، 7/2

وقلَّدتُـــــهُ دَهـــــراً تَميمـــــةَ جَـــــدِّهِ   وَلـــيسَ لِشـــيءٍ كـــادهُ الله صــــارِفُ

2. تلطيخ الصّنم بالدم.

كان العرب الجاهليون يلطخون الأصنام بدم الذبائح التي يقدمونها لها _ وقد ذكرنا ذلك سابقاً _صفحة 32، ويؤكد ذلك زهير بن أبي سلمى في قوله[1]:

(البسيط)

فَـــزلَّ عنهـــا وأَوفـــى رأسَ مَرقبـــةٍ   كمنصبِ العِتـــرِ دمّـــى رأســـهُ النُّسُـــكُ

وقد كان عبّاد العزى يلطخون قنة صنمهم، أي أعلاه ورأسه بدم الأضاحي، وكذلك فعل عبّاد الصنم نسر بقنة صنمهم، يقول عمرو بن عبد الجن[2]:

(الطويل)

أمـــا ودمـــاءٌ مـــائِراتٌ تخالُهـــا   علـــى قنـــةِ العـــزّى وبالنَّســـرِ عَنـــدَما

وعندما يريد طرفه أن يقسم فإنه يقسم بالأنصاب والدم، فهو قادر علـى توثيـق العهـد الدموي بين البشر و الآلهة كما أنه يعطي القسم بعداً أكثر تقديساً عندما يقول: "يسفح بينهن دم " يقول:[3]

(الكامل)

إنّـــي وَجَـــدُّكَ مـــا هَجَوتُـــكَ وال   أنصـــــابُ يُســـــفَحُ بيـــــنهنّ دَمُ

3. تشبيه الزّعفران بالدم

شبه الشعراء الجاهليون الزعفران بالدم لشدة حمرته فيصف الشمّاخ الـذبياني فتاتـه بأنهـا مطيّبة بالزعفران ينضح العطر من معصميها ومن رقبتها كالدم النجيع فيقول[4]:

([1]) زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص 50

([2]) الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: **حياة الحيوان الكبرى**، 32/1

([3]) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 82

([4]) الشمّاخ الذبياني: **ديوانه**، ص 76

(الوافر)

كـــــأنَّ الزَّعفـــــرانَ بمعصـــــميها وباللّبـــــات نَضـــــحُ دمٍ نجيـــــعُ

ويشاركه في هذا التشبيه النمر بن تولب فيقول[1]:

(الطويل)

يشـــنٌّ عليهـــا الزَّعفـــرانَ كأنَّـــهُ دمٌ قـــارت تَغلـــي بِـــهِ ثُـــمَ تَغســـلُ

كما يشبه المسك بالدم فيقول[2]:

(الكامل)

عَبَـــقَ المِســـكُ والعبيـــرُ بِحُبِهـــا وكَـــأَنَّ نَضـــح دمٍ علـــى أَظفارهـــا

([1]) ابن ميمون. محمد بن مبارك بن محمد: **منتهى الطلب من أشعار العرب،** 290/3

([2]) المصدر السابق، 301/3

الفصل الثالث

أبعاد صورة الدم ودلالاتها في الشعر الجاهليّ

1. البعد الدينيّ (الميثولوجيّ)

2. البعد النفسيّ

3. البعد الاجتماعيّ

الفصل الثالث

أبعاد صورة الدم ودلالاتها في الشعر الجاهلي

تمهيد

الصورة قديمة قدم الشعر، وتعتبر عنصراً أساسياً في بنائه، إذ لا يمكن أن يكون هناك شعر بمعزل عنها، فهي أساس الشعر، بل هي الشعر نفسه، ورغم مكانتها وأهميتها إلا أنها تُعد من أكثر المصطلحات غموضاً في الشعر العربي، وذلك بسبب الخلط بين الأدب العربي الموروث، والنقد الأدبي الذي يدين في الغالب إلى الفكر والأدب الغربيين(1).

ويتميز في تاريخ تطور مصطلح الصورة الفنية مفهومان، قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يضم إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين هما: الصورة الذهنية، والصورة باعتبارها رمزاً. فإذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة، فإن المفهوم الجديد يوسع من إطارها، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح، بل قد تخلو الصورة – بالمعنى الحديث - من المجاز أصلاً، فتكون عبارات حقيقية الاستعمال ومع ذلك فهي تشكل صورة دالة على خيال خصب(2).

فالقدماء وقفوا عند قضايا شكلية، وعلاقات حرفية، تخص الصورة دون الالتفات إلى جوهرها، وما تعكسه من تجارب وخبرات، تخص ذات مبدعها، فقد عيب على القدماء أن حرصهم على التشابه الخارجي في بعض صفات الصورة، لم يكن يواكبه إحساس بالدرجة نفسها من الحرص على دلالتها النفسية، مع أن الأهم مضمون الصورة بوجه عام(3).

---

(1) الرباعي، عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري** (دراسة في النظرية والتطبيق)، ط 1، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1984، ص 42، 53

(2) البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري** (دراسة في أصولها وتطورها)، ط 2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1981، ص 15، 25

(3) عبد الله، محمد حسن: **الصورة والبناء الشعري**، ط 1، القاهرة: دار المعارف، 1981، ص 148

أما الصورة في المفهوم الحديث فهي تشكيل لغوي يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها، فأغلب الصور مستمدة من الحواس إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية، أو يقدمها الشاعر أحياناً كثيرةً في صور حسية[1].

إلا أن الصورة الفنية في رأي خليل عودة تجمع بين المفهومين، فهو لا يرى فاصلاً يفصل التشبيه والمجاز عن الصورة الذهنية، أو ذات الشاعر ولا يقيس الصورة قياساً حرفياً كما فعل القدماء، لأن ذلك يقضي على طاقاتها الإبداعية ويضرّ بها[2].

وتتأتى أهمية الصورة من الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به، إنها لا تشغل الانتباه بذاتها، إلا أنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضه[3].

كما جاء الشعرالجاهلي خير ممثل وواصف للحياة الجاهلية، فيرى الباحث إيليا حاوي أن الشعر الجاهلي سجل أو شريط واضح جلي تظهر فيه معالم الحياة الجاهلية كأنها تجري في حقيقة الواقع، وليس توصف في الحروف والألفاظ عبر الذهن، فهو يضعنا وجهاً لوجه أمام معالمها، كأننا نعيش في قلبها ولسنا نتخيلها تخيلاً، أو نفترضها افتراضاً[4].

فالشاعر يعبر عن واقع حياته من خلال ذاته، ولم يكن شعره شعراً سطحياً ساذجاً لا يعنى إلا بظواهر الأشياء وتصويرها تصويراً آلياً.

ومعنى ذلك أنه قد يكون للعمل الأدبي أكثر من معنى وأن الصورة الشعرية داخله تحمل أكثر من بعد واحد. "فقد تجد لأول وهلة بعداً قريباً ولكن بعد التأمل المستمر نرى أنها تحمل

---

(1) البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، ص 30

(2) عودة، خليل محمد حسين: **الصورة الفنية في شعر ذي الرمة** (رسالة دكتوراة غير منشورة)، مصر، 1987، ص 14

(3) عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط 2، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر مصر، 1983، ص 327، 328

(4) حاوي، إيليا: **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي**، ط 3، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980، ص 20

أبعاداً خلفية أخرى. وكلما ازداد التأمل ظهرت هذه الأبعاد أكثر فأكثر، وهذه الأبعاد لا تأتي إلا إذا كانت الصورة بألفاظها وتركيبها وعاطفتها قادرة على الإيحاء بهذا البعد أو الأبعاد"(1).

ولذلك لا يمكن الاكتفاء بأخذ المعنى الظاهري لهذا النوع من الصور، وإلا نكون بذلك قد أفقدناه أهم ما يميزه وما يحتوي عليه من رموز وإيحاءات وأبعاد، علينا أن نكشف عما يكمن وراء العلاقات الظاهرة التي وضعها الشاعر بطريقة لا شعورية، لكي يعبر عما في نفسه من أسرار ودخائل، إذ إن المعاني المهمة هي المعاني الكامنة المستورة وراء هذه العلاقات الظاهرة، وبكشفها تظهر القيمة الحقيقية للشعر، ونتعرف على إحساس الشاعر الداخلي الذي قد يكون له أثر مهم في إبراز اللاوعي الفردي أو الجماعي، ذلك أن الشاعر يحتوي على مخزون كبير من الحياة الجمعية مقابل الحياة الشخصية(2).

وفي حديث الشاعر الجاهلي عن الدم وتصويره، نجد أبعاداً كامنة، لا تتضح لنا للوهلة الأولى بمجرد النظر، لأن صورة الدم - بكل ما تنطوي عليه من أبعاد – عكست إحساس الشاعر، لكنها لا تتضح إلا من خلال التحليل العميق لهذه الصورة. "فالعلاقات الظاهرية أمامنا قد وضعها الشاعر بطريقة لا شعورية لكي يعبر عما في نفسه من أسرار ودخائل، وعلينا نحن أن نكتشفها"(3).

وسنحاول في هذا المبحث تقسيم هذه الأبعاد إلى أبعاد ميثولوجية، وأخرى نفسية، وأخرى اجتماعية، وتحليل ما تحمله من دلالات.

1. البعد الدينيّ (الميثولوجيّ)

التراث الجاهلي عالم خصب وثري، وهو جزء من علاقة الجاهليين بعالم الغيب، يشتمل على كثير من الرموز الدينية والمعتقدات الأسطورية على شكل رواسب مبثوثة هنا وهناك، فقد

---

(1) الشوري، مصطفى عبد الشافي : **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 85، 86

(2) الديك، إحسان: **الماء في الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غير منشورة)بإشراف يسري سلامة، جامعة الإسكندرية، مصر، 1982، ص 210

(3) الشوري، مصطفى عبد الشافي : **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 86

رسم الشاعر الجاهلي صوره من خلال تأثره بالموروث القديم، الذي يعج بالقصص والأساطير، فوظف هذا الموروث في قصائده ولم يكن يستخدمه باعتباره ترفاً فكرياً، ولم يقصده لذاته، بل وظفه للتعبير عن قضايا الأمة والحراك الثقافي فيها، ولم يدر في خلده بأن يلجأ إليه أو يعبر عنه كي يتوارث من جيل إلى جيل، بل كان شعوراً عميقاً بالتاريخ ورؤيا توحد وتربط بين الأزمنة والأمكنة بين الماضي والحاضر.

فلا بد لفهم الشعر الجاهلي من معرفة الأساس الذي يرتكز عليه الشاعر الجاهلي والخلفية التي ينطلق منها.

ويربط نصرت عبد الرحمن بين معتقد الشاعر الجاهلي وشعره، إذ يرى ان معرفة معتقد الشاعر هي السبيل لكشف شعره، لأن الشعر رمز يلتقي فيه الباطن بالخارج، فيلون الباطن الخارج بألوانه، والشاعر الجاهلي وثني ينظر إلى الأشياء نظرة تساوق معتقده، فيعكسها في صوره[1].

وإذا حاولنا استقراء صورة الدم في الشعر الجاهلي فإننا بلا شك نجد أنها جاءت مستمدة من بيئة الشاعر، تكشف عن كثير من القضايا الدينية والأسطورية الموغلة في القدم، وتعكس ما اختزنه في اللاشعور الجمعي من موروث فكري قديم.

فمن الرموز التي تحمل دلالات دينية أسطورية تقديم القرابين للآلهة واهبة الحياة والدم، حتى ترضى ويهدأ غضبها.

فقد اعتاد العرب التقرب للآلهة بالقرابين، ومن طقوسها سفح الدّم، وهو طقس يدلُّ على الطاعة والإخلاص وبخاصة من خلال (الهريق) على الأنصاب، إذ يعمد مقدّم القربان إلى الذبيحة، ويأخذ من دمها ويسكبه على رأس الصنم.

([1]) عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث**، (د. ط)، عمان : مكتبة الأقصى، 1976، ص 187

على نحو ما نجد في قول النابغة [1]:

(الكامل)

تَمشـــــي بهــــم أُدْمٌ كَــــأنَّ رِحَالَهــــا   عَلَقٌ هُريقَ علـــى مُتـــونِ صـــوارِ [2]

كما يقول[3] :

(البسيط)

فـــلا لَعَمْـــرُ الـــذّي مسَّـــحتُ كعبتَـــهُ   وما هُريقَ على الأنصـــابِ مـــن جســـدِ

كما تقرب العرب للآلهة بالنذور، وهي مقدمة للأرباب بشكل جبري لعامل الوفاء بهـــا، وهي وعد على شرط، وعقد مقدس بين الناذر والآلهة، وقد تكون ذبيحة أو مجموعة ذبـــائح أو زرعاً أو أرضاً أو (قرباناً بشرياً) وغيرها.

ولهذه الطقوس جذور أسطورية موغلة في القدم، فقد كانت عـــادة التقـــرب بـــالقرابين الحيوانية والبشرية سائدة عند كل الشعوب القديمة ومن ذلك أن آشور بانيبال (ملك آشور) يفخر بأنه حرق بالنار ثلاثة آلاف أسير بقرابين جنائزية، يقول النقش الآشوري: " وبهـــذه الأعمـــال أدخلت السرور على قلب الآلهة العظام"[4].

كما كان التقرب بدماء الأعداء الذين يُقتلون دفاعاً عن الآلهة عملا يرضـــيهم و يجلـــب خيرهم على البشر، فقد كان انتصار القبيلة يمثل انتصاراً لآلهتها، وعدَّ الحصول على شيء من دم العدو شرفاً للفارس ورضا للإله، وغاية في حد ذاتها، وقد يكون الدم على الخيول أو السيوف أو الرماح أو السّهام.

يقول عامر بن الطفيل[5] :

([1]) النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص 56

([2]) الصّوار: القطيع من البقر الوحشية

([3]) النابغة الذبياني: **ديوانه**، ص 36

([4]) ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، مجلد 2، 405/2

([5]) عامر بن الطفيل: **ديوانه**، (د. ط)، بيروت: دار صادر، 1979، ص 65

(الطويل)

وَما رُمْتُ حتّى بلَّ صَـــدري وَنحـــره نجيـــعٌ كهُـــدّابِ الـــدِّمقس المُســـيَّرِ[1]

فالشاعر يشبه النجيع (الدم) وقد بلَّ ثوب الفارس ونحر الفرس بالهـــدّاب الـــذي يـــزين الثوب.

فالصورة هنا تحمل أبعاداً دينية مترسخة في ذهن الشاعر، فقد كان هدف المعركة هـــو الحصول على جزء من دم الأعداء، يعود به الفارس فوق ثيابه أو جسده، أو حصـــانه، وكـــأن الفارس قد سلب من الأعداء قوتهم الكامنة في دمائهم، وقد ذكر جواد علي أن العرب قديماً كانوا يتبركون بالسهم المدمى، يقول: "كان الرجل إذا رمى العدو بسهم فأصاب، ثم رماه بـــه العـــدو وعليه دم، جعله في كنانته تبركاً به"[2].

أما الشماخ الذبياني فيقول[3]:

(الطويل)

فتـــى كـــان يَـــروي سَـــيْفَهُ وسِـــنانَهُ من العَلق الآني لدى المُحجـــر التّـــالي

فهذا البطل كان يَروي سَيْفه من جرح ينفر بالدم الحار ليتلوه بآخر وآخر، فصورة سيفه المتعطش للدماء تشبه إلى حدّ بعيد صورة الإنسان الظمآن الذي يشرب الماء حتى يرتوي.

كما يشاركهم في هذه الصورة عبد مناف الهذلي فيقول[4]:

(الكامل)

كانـــت علـــى حيّـــانَ أوّلَ صَـــولةٍ منـــي فَأُخِضـــبُ صـــفحتَيهي بالـــدمِ

([1]) الدمقس: القزّ، المسيّر: المخطط، الهداب:أي كهداب الثوب

([2]) علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، 813/6

([3]) الشماخ الذبياني: **ديوانه**، ص 101

([4]) السُكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، 50/2

وهكذا أصبح الدم يعني القوة والفخر والعزّة، لقد أصبح الحياة كلها في نظر الفارس العربي، ولما كان هذا الفارس وهو يقتل عدوه يؤدي عملاً تعبدياً يدخل السرور على قلب الآلهة، فقد لوحظ جو من الغبطة والسعادة يحيط بصورة الدم النازف من العدو، والشاعر يشبه هذا الدم بالعنبر والأرجوان والزعفران والخضاب، وكأننا في مجال عرس لا مجال موت[1] يقول راشد بن شهاب اليشكري [2]:

(الطويل)

رأيت دماءً أسهَلَتها رِماحُنا   شآبيبَ مثلَ الأُرجوانِ على النَّحرِ

ولا نستطيع تجاهل الإحساس بالريّ والنشوة في (شآبيب)، بل إن الفرحة والسعادة لتصل إلى طيور الجوّ فيصورها الشاعر (ضمرة النهشلي) وكأنها تؤدي رقصة فوق الدم وكأنها تتلذذ بهذا الموت وتطرب له يقول[3]

(الطويل)

وَقِرْنٍ تركتُ الطيْر تَحجلُ حَوْلَهُ   عليهِ نجيعٌ من دَمِ الجوف جاسدٌ

تكشف هذه الصورة أبعاداً دينية أسطورية موغلة في القدم، فيمكن أن يكون هذا الرقص الذي تقوم به الطيور له علاقة بالرقص الديني الذي كانت تقوم به الجماعة القديمة في معابدها حين تسفك الدم وتتقرب به إلى آلهتها

كما نلمح مثل هذه الصورة في شعر عنترة الذي يبدو شغوفاً بالقتال يهاجم أعداءه مع الأسود من بني عبس، وإن كان هو دائما في المقدمة،يبتهج لرؤية الدماء المراقة بل إنه يجعل منها خضابا لساعده وفي مثل هذه الصورة يقول[4]:

([1]) علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 77

([2]) الضبي، المفضل بن محمد بن لعلى بن سالم: **المفضليات**، ص 310

([3]) المرجع السابق، ص 326

([4]) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص65

(الوافر)

سَــــأحملُ بالأســـودِ علــــى أســـود وَأخضِـــبُ ســـاعدي بِـــدم الأُســـود

وكأن طقس تخضيب الساعد بالدم هو طقس العبور إلى الحياة الناتجة عن قتل العـــدو / الشر، أو أنه طرد القوى الشريرة التي تعكر صفو حياة الناس كما يفعــل النـــاس اليـــوم حـــينَ يطبعون كفوفهم المخضبة بالدماء على أبواب منازلهم الجديدة

ويقول في موضع آخر [1]:

(الوافر)

وإنــــي قَـــدْ شَـــربتُ دَمَ الأعـــادي بأقحـــافِ الـــرّؤسِ ومـــا رُويـــتُ

وفي هذا البيت يروح عنترة يهذي،كعادته، بالقيم التي يجسدها و المهارات التي يتقنهـــا في الضرب و الطعان وشرب دم الأعادي "بأقحاف الرؤوس" دون أن يرتوي، كيــف لا؟ وهــو الذي ولد في المعارك وشرب من لبنها.

والصورة ترتبط بموروث ديني أسطوري، باعتبار الخمرة دم الإله، فالدم كما الخمـــرة قربان من أجل الحياة والفداء،ووسيلة من وسائل البعث والتجدد. كما يقول [2]:

(الطويل)

ألا غنّيـــا لـــــي بالصّـــهيلِ فإنَّـــهُ ســـماعي ورقـــراق الـــدماء نـــدامي

وحُطّا على الرّمضـــاءِ رحلـــي فإنَّهـــا مَقيلـــي وإخفـــاقُ الابنـــود خيـــامي

ولا تذكروا لـــي طيـــبَ عـــيش فإنَّمـــا بُلـــوغُ الأمـــاني صـــحّتي وســـقامي

وفي الغزو ألقى أرغَـدَ العـيش لـذّةً وفي المَجـدِ لا فـي مَشـربٍ وطعـامِ

([1]) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص38

([2]) المصدر السابق، ص89

إنه غناء عجيب في نظرنا، وغير عجيب في نظر بطل مغوار دأبه سماع قراع الأسـنة وقرقعة السيوف و صليل الرماح،فيصبح صهيل الخيل أحلى وقعا من غناء المغنية،لا سيما وهو هنا في حالة اغتراب عن كل ما يألفه القاعدون الجبناء في مواخيرهم، كما يصبح نداماه رقراق الدماء وهو في هذه القصيدة يبدو منتشيا بالحرب، و برؤية الدماء التي هجر العيش الرغيد مـن أجلها، كما يرى عنترة أن مجده الشخصي و شرفه لا في مأكل و مشرب، بل بمهاجمة الأعـداء والتغلب عليهم وإسالة دمائهم. وهذه الصورة تذكرنا (بعناة) وهي تسفك الدماء التي تتناثر هنـا وهناك لتلطخ كل شيء حتى أصابعها وجسدها، وتكون عناة منتشية بهذه الدماء، فعندما شاهدت آثارها هذه فرحت وابتهج كبدها بالضحك وامتلأ قلبها بالسرور[1].

جاء العندم والشقائق (الشقر) في كثير من الصور الشعرية، في وصـف الـدم، يقـول سلامة بن جندل [2] :

(الكامل)

والخيـلُ تعلـمُ مـن يَبُـلُّ نُحورَهـا بـدمٍ كمـاءِ العَنْـدمِ المُهـراقِ

فالشاعر يشبه الدم بالعندم.

ويشبه طرفة بن العبد الدماء بالشقر، يقول [3]:

(الرمل)

وتسـاقى القَـومُ كأسـاً مُـرّةً وعـلا الخيـلَ دِمـاءٌ كالشَّـقر

والشقر هو شقائق النعمان، أي هو دم الإله.

([1]) إفريحة، أنيس: **أوغاريت، ملاحم وأساطير من رأس شمرا**، (د. ط)، بيروت: دار النهار، 1980 ص 191، 194

([2]) سلامة بن جندل: **ديوانه**، ص 152

([3]) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 50

وقد ذكر ابن منظور أن العندم هو "دم الأخوين"، وشجر أحمر، ودم الغزال بلحاء الأرطي، يطبخان جميعاً حتى ينعقدا فتختضب بها الجواري[1].والمعاني هنا تشير إلى دوال أسطورية. وقد حاول إبراهيم علي تفسيرهذه اللفظة المحملة بالدوال الميثية الغامضة:

- فقد حاول أولا تقسيم كلمة (عندم)والكلمة مقطعياً تحتمل ذلك لتصبح (عن دم).
- و (عن) هذا قد يكون تحريفاً ل (عم) وهو من أسماء (الإله) القمر.
- فتكون (عندم) بمعنى الإله الدم، أو الدم الإلهي، أو دم الإله[2].

ولتعضيد هذا التفسير، يَسوق إبراهيم علي ما ذكره ابن منظور حول شقائق النعمان. فهو كما يذكر ابن منظور " من أسماء الدم، وشقائق النعمان نبت واحدتها شقيقة سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة النعمان، وإنما سمي بذلك وأضيف إلى النعمان، لأن النعمان بن المنذر نزل على شقائق رمل قد أنتجت الشقر الأحمر، فاستحسنها وأمر أن تُحمى، فقيل للشقر شقائق النعمان"[3].

"لكن الأمر كما نرى غامض مشكل، فابن منظور يحاول إلصاق اسم هذا النوع من الأزهار الحمراء بشخصية النعمان ولا ندري ما العلاقة بينهما، لكن إذا جمعنا هذه النتيجة (شقائق النعمان = قطع الدم)، مع ما وصلنا إليه في تحليل كلمة عندم (عندم = عم دم /دم عم / دم الإله)، اتضح أن العندم هو شقائق النعمان، وهو قطع الدم، وهو دم الإله الصريع، الذي أنبت الأزهار الحمراء الجميلة في أسطورة تتكرر لدى اليونان والفرس والهنود والمصريين، وتدل المعاني العربية، وما يحايثها من أوابد أسطورية، على معرفتها عند العرب"[4].

---

(1) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 10/ 309، مادة (عَنَمَ)

(2) إبراهيم، محمد علي: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 69، 70

(3) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، 14/ 307، مادة (نَعَمَ)

(4) إبراهيم، محمد علي: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 70، 71

استخدم الشعراء دلالة مفردة الدم في معرض رسمهم صورة الخمر المقدسة، ضمن إطار الحاسة البصرية، والتشبيه باللون، في ذلك يقول امرؤ القيس[1]:

(الكامل)

أُنُفٍ كلون دَمِ الغَزالِ مُعَتَّقٍ   من خَمرِ عانةَ أو كُرومِ شِبامِ

يشبه الشاعر هنا الخمرة بدم الغزال، "والغزال كائن مقدس ورمز للشمس الأم"[2]، كما ترى زاهية سعدو أن " التشبيه بدم الغزال من باب تقديس هذا الغزال، لان الأصل في القرابين أن تكون من الآلهة إحياءً لذكرى (عشتار) أو (أدونيس) أو (تموز)، أو (بيرسفوني)، فكل منهم كان يرحل سنوياً إلى عالم الموتى، ثم يعود في دورة محددة ليرفع أذى إله العالم السفلي، أو إله الموت عند البشر، وما دام الغزال رمزاً من رموز الشمس المقدسة فمن الأرجح أن دمه يمثّل دم الإله الذي يشفي من المرض، ويدفع الأذى، ولم يتم هذا الاختيار للغزال من باب التجميل لاشتهاء الظباء بالجمال فقط"[3].

أما الأعشى فيشبه الخمرة بدم الذبيح، فيقول[4]:

(الكامل)

وسبيئةٌ مما تُعَتِّقُ بابلٌ   كدمِ الذّبيحِ سلبتها جريالها

ويبدو أن تشبيه الخمرة بدم الذبيح من المخزون الشعوري الجمعي لجميع الشعراء، وكثر الشعراء الذين شاركوا الأعشى التشبيه نفسه –وقد ذكرنا ذلك سابقاً صفحة 79-.

كما كانت الخمرة شراباً إلهياً مقدساً، أو بوصفها دم الإله الذي صرع، يشربه عابدوه لتحل فيهم روحه وقواه في احتفالات يمثل فيها مصرعه وقيامه من بين الأموات[5].

---

(1) امرؤ القيس: **ديوانه**، ص 152

(2) البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي**، ص 75

(3) سعدو، زاهية: **تطور المعاني الخمرية من العصر الجاهلي حتى أبي نواس** (رسالة ماجستير غير منشورة)،بإشراف جامعة الجزائر، الجزائر، 1986، ص 25

(4) الأعشى: **ديوانه**، ص 143

(5) النعيمي، أحمد اسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ط 1، القاهرة: دار سينا للنشر، 1995، ص 235

ومن مظاهر قدسية الخمر أهميتها في تأدية الشعائر الوثنية في الحـجّ[1] و(مـا تـزال الخمرة تشرب في ممارسة دينية تعيش حتى الآن في بعض الأعياد للنصارى واليهود ممثلة لدم الإله، في الأعياد التي تحيي ذكرى موته، ومن لا يشربها بهذه الصفة لا يعدُّ من المؤمنين)[2].

وقد كان للخمرة طقوس خاصة بها، فغالباً ما تشرب قبيل الشروق مـع ظهـور نجمـة الصباح، وتشرب في جمع من الندامى في كؤوس، وهذا الأمر يجعلنا نربط بين الخمرة ونجمـة الصباح (الزهرة)[3] ،فقد كانت ربة الخمرة كما كانت عشتار ربة الخمر عند البابليين وقد تغنـى الشعراء بالخمرة البابلية، [4] وقد تغلبت نجمة الصباح هذه على الملكين (هـاروت ومـاروت) باسقائهما الخمرة، ومن ثم أصبح شرب الخمرة طقساً من طقوسها[5]، ويبدو أن الكأس في هـذه الفترة (أي عندما تظهر نجمة الصباح) تكون آخر ما يعاقره الشاعر، قبل أن ينصرف إلى عمله اليومي، وكأنه أدى فرضاً فرضته (الزهرة) منذ قديم، وقد أفصح بعض الشعراء عن مثل هـذا التقليد، من حيث إذا سقوا سقوا الصباح (سحرا)[6]، يقول الحادرة [7]:

(الكامل)

بَكَـروا علـيَّ بسُـحرةٍ فَصَبحتُهم مـن عـاتقٍ كـدم الـذبيحِ مُشَعشـع

وطابع القداسة الذي أحيطت به الخمرة، ينزع في جذوره إلى حضـارات موغلـة فـي القدم، لا سيما حضارة (وادي الرافدين) إذ كان قد شاع فيها عادة ممارسة تقديم القـرابين مـن النبيذ إلى الآلهة يومياً [8].

([1]) عبد الرحمن، نصرت: **الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي**، (د. ط)، عمان:دار الفكر، 1976، ص 90

([2]) البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي**، ص 75

([3]) ينظر، الديك، إحسان: ***صدى عشتار في الشعر الجاهلي***، ص 165، 166

([4]) النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 149

([5]) ينظر، الديك، إحسان: ***صدى عشتار في الشعر الجاهلي***، ص 166

([6]) زكي، أحمد كمال: ***التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي***، **مجلة فصول**، ع 3، 1981، ص 117

([7]) الحادرة: **ديوانه**، ص 57

([8]) النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 237

وحول الخلط بين الخمر، والدم ترد قصة أخرى في مصر القديمة، وذلك عندما كاد الناس للإله (رع) عند كبره واشتكاهم للآلهة، فكره (رع) أن تقوم الآلهة بإهلاك البشر، فطلب مادة (البريدي) وهي مادة تصبغ بالأحمر، فطحنت ومزجت بماء الشعير لتحضير شراب سائل يشبه دم البشر، وقدم الشراب للآلهة فشربت حتى ثملت، وبذا نجا البشر[1].

وهذا يفسر لنا ولع الآلهة (عناة) بالخمرة الحمراء التي يعتبرونها دم الدالية كما ورد في (أوغاريت):

وبينما تشرب الآلهة خمراً بالكبير (يقصد الآنية الكبيرة)

ودم الدالية بكأس ذهبية، بكأس فضية[2]

وفي هذه الملاحم نجد أيضاً أن (فوغة) أسقت قاتل أخيها الخمر على شكل الدم حتى سكر واعترف بفعلته ومن ثم قتلته[3].

أما وصف الظعائن فصورة تتكرر في الشعر الجاهلي، لكنني سأكتفي بأمثلة توضح الصورة دون الرجوع إلى حديث الظعن عند كل شاعر على حدة، وهي من الصور التي تحمل في طياتها أبعاداً دينية أسطورية، وقد جعل الشعراء منها سبباً لوصف المرأة. ومما يلاحظ أن المرأة غالباً ما ترحل في هودج أحمر، اللون كالدم المراق. وفي مثل هذه الصورة يقول زهير مشبهاً الهودج بالدم[4] :

(الطويل)

عَلَونَ بأنماطٍ عتاقٍ وكِلّةٍ وِرادٍ حواشيها مُشاكِهةِ الدَّمِ

([1]) أرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة**، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ط 1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1995، ص 105

([2]) إفريحة، أنيس: **أوغاريت، ملاحم وأساطير من رأس شمرا**، ص 113، 135، 146، 163

([3]) المرجع السابق، ص 336

([4]) زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص 76

كما يقول طرفة بن العبد[1] في حمرة الهوادج:

(السريع)

عــــاليِنَ رقمــــاَ فــــاخراً لونُــــه مــــن عَبقــــريّ كنجيــــعِ الــــذبيحِ

وقد وقف الدارسون كثيراً على هذه الظاهرة، وأوجدوا لهــا العديــد مــن التفســيرات والتأويلات المنطقية، فربطت بعض الدراسات بين رحلة المحبوبة / الظعينة وبين شروق الشمس وغروبها، فالمرأة كانت " ترمز للشمس ربة الجاهليين، وقد صور العرب في الجاهلية صــوراً للشمس على هيئة إنسان، وهذا الإنسان يمثل حسناء عارية"[2].

فهناك من فسّر الحمرة المرتبطة بهذه الرحلة بلون الشمس عند الشروق، لمــا لشــروق الشمس من البهجة والفرح بعد سبات ليل طويل، مليء بالأحزان والهموم[3]. وهناك من رأى فيه صورة للشمس عند الغروب، لأن الشمس هي رمز الخصب عند الإنسان، ورحيلها يؤدي إلــى خراب الديار على نحو ما نجده في لوحة الأطلال التي تبقى شاهدة على المأســاة التــي تحــل بالديار عند رحيل المرأة عنها[4].

والرحلة في رأي إبراهيم علي " تمثيل لشروق الشمس أو ميلادها، وما يصــاحب هــذا الميلاد من دماء هي دليل على الحياة والخصوبة، لا على الموت والفناء"[5].

ويدلّل على رأيه هذا بإكثار الشعراء من ذكر الفعل (علون) في وصف هذه الظعائن مع إن من المنتظر هو ابتعاد الصورة وتصغيرها لا تقريبها وارتفاعها[6].

([1]) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 20

([2]) الشوري، مصطفى: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ص 95

([3]) ينظر زكي، أحمد كمال: **الأساطير (دراسة حضارية مقارنة)**، ط 2، بيروت: دار العودة، 1979، ص 84

([4]) ينظر عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**، ص 126، 127، 131، 132

([5]) إبراهيم، محمد علي: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام**، ص 89

([6]) المرجع السابق، ص 89

وهناك عدة أساطير عالمية حاولت تفسير هذه الحمرة، فالأسطورة المصرية تفسر هــذا اللون في السماء بأنه الدم الذي تنزفه الإلهة إيزيس حين تلد ابنها[1].

كان العرب في فترة ما يخلطون بين الملوك والآلهة، فيجعلون من ملــوكهم وأســيادهم أرباباً يعبدونهم ويدينون لهم بالولاء، فصورة الملك خرجت من دائرة البشر لتقرب من صــورة الإله. ويذكر الألوسي: "أن هوازن كانت لا ترى زهير بن جذيمة إلا ربّاً"[2]، لا سيما عند إطلاق العبارة الشهيرة "دم الملوك يشفي من داء الكلب"[3].

وهي نظرة تلتقي مع ما كان سائداً في المجتمعات القديمة، حين عدّ هذا النوع من الــدم (الدم الملكي) شرطاً أساساً يجب توفره فيمن يختار لمنصب ديني رفيع[4]، ويؤكد هذا الرأي علي البطل بقوله: " لقد عبدت الملوك في الديانات القديمة نتيجة وضعهم المتميز في المجتمع"[5].

وهذا القول وجد فيه الشعراء منفذاً للتعبير عن واقع تجاربهم في الحياة. يقول المثقــب العبدي[6]:

(الرمل)

بــــاحِريُّ الـــــدمِ مُـــــرٌّ طَعْمُــــــهُ   يَبْـــرِيءُ الكلـــبَ إذا عَـــضَّ وَهَـــرّ

فالشاعر هنا ومن خلال جمعه بين الصورة البصرية واللونية والذوقية يؤكد قداسة الــدم الملكي، ففي استخدام الشاعر اللون الأحمر دليل على المكانة العالية، فاللون الأحمر (الدم) جــاء ليوحي بمعنى التضحية التي يتحقق بها الأمل الكبير للإنسان وهو الخلود، أما قوله مــر طعمــه

([1]) كلارك، رندل: **الرمز والأسطورة في مصر القديمة**، ترجمة د. أحمد صليحة، (د. ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص 86

([2]) الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 118/1

([3]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، 5/2

([4]) النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام**، ص 88

([5]) البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي**، ص 184

([6]) المثقب العبدي: **ديوانه**، ص 70

فهو للدلالة على أنه دم صعب غير مباح، وفي جعله شفاء لمــرض الكلــب تقــديس وألوهيــة للملك[1].

كما يقول عوف بن الأحوص[2]: (دماءُ القومِ للكلبي شفاء)، ويقول ابن عياش الكندي[3]: (تريقون تاموراً شفاء من الكلب) ويطول بعد ذلك أمر استقصاء النصوص الشعرية التي تصــب في هذا المجرى.

ويؤكد ذلك محمد توفيق أبو علي فيقول: " فاحترام الدم الملكي كان عادة يخالطها بعــد ميثولوجي، فحتى في أوج الغضب وذروة احتدام الصراع بين الملوك، كان ثمة عرف عنــدهم بعدم التفريط بقطرة دم واحدة من دم الملك إذا قبض عليه خارج المعركة"[4].

كثيرة هي الصور التي يشبه فيها الدم بالخضاب في أشعار الجاهليين، والخضاب يعنــي الصباغ بالحناء، والحناء معروف لونه يميل إلى الحمرة، وهو يرمز قديماً وحديثاً إلى تلك الطاقة الكامنة في الحياة، فهو طقس من طقوس العبور لأنه دلالة على البعث والحياة الجديــدة المليئــة بالنصر والأمل.

ومن الشعراء الذين شبهوا الدماء بالخضاب عنترة بن شداد حيث يقول[5]:

(الوافر)

وَعُــــدتُ مُخَضَــــباً بِـــدَمِ الأعــــادي وكربُ الرَّكضِ قــد خَضَــبَ الجــوادا

ونجد مثل هذا التشبيه أيضاً عند الطفيل الغنوي فيقول[6]:

([1]) ناصيف، مهيّة عبد الرحيم خضر: **الملك في الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006، ص 110

([2]) الضبي، المفضل بن محمد بن لعلى بن عامر بن سالم: **المفضليات**، ص 130

([3]) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، 6/2

([4]) أبو علي، توفيق: **صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية**، ط 2، شركة المطبوعات، 2000، ص 134

([5]) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص 130

([6]) الطفيل الغنوي: **ديوانه**، ص 49

(الطويل)

طَوامحُ بالطَّرفِ الضّــراب إذا بَــدَت   مُحَجلّـــة الأيـــدي دمـــاً بالمخضَّـــبِ

إن الدماء على نحر الفرس دلالة على خوضه المعارك وخروجه منتصراً وقد تقلّد هــذا الوسام، وقد جاء الشاعران في الأبيات السابقة باستعارة الحناء للأسنة وأطلقاها علـــى خيلهمـــا ليجعلا منها نموذجاً بطولياً، ومشهداً يوحي بالارتياح ويبعث على الإعجاب، فشتان بين خضاب حنائي، وخضاب دموي، الأول للزينة والتصابي والثاني لإحراز النصر العظيم ودخول التاريخ من أبوابه التي لا تفتح إلا للغرّ الميامين. كما أن سقوط الدم ليس أقل من الخروج من ظلمـــات العبودية إلى نور الحريّة والانعتاق، فلا سبيل إلى الحريَّة والنور والحياة إلا إذا سال الدم، فهـــو قربان من أجل الحياة.

إن هذه الأبيات وغيرها التي يشبه فيها الدم على نحر الفرس بالخضـــاب لهـــا أبعادهـــا ودلالاتها الميثولوجية القديمة، " فقد وجدت أصابع اليدين والقدمين في بعض الموميات التي عثر عليها في أحد قبور الشيخ عبد القرنة بالدير البحري بطيبة من الأسرة العشرين في مصر القديمة مخضبة بالحناء وقد وصف العالم ألبرت سميث شعر ميومياء إحدى النساء من الأسرة الثامنـــة عشرة بأنه مخضب بلون مائل للاحمرار بسبب صبغه بالحناء"[1].

وهذه العادة ما زالت سائدة إلى أيامنا هذه لا سيّما للعروسين على حدّ سواء فنقوم بطقس تخضيبهما لمنحهما الخصوبة والقدرة على الإنجاب.

2. البعد النفسي

الشعر خالد بمقدار ما يستطيع أن يعبر عن حقائق الكون في قوالـــب وصـــور جميلـــة، وتكمن قيمة الشاعر في التعبير عن خوالج النفس الإنسانية، ورصد ما يؤثر فيها مـــن عوامـــل معنوية أو مادية بشمولية وإحساس عام، فضلاً عن عنايته بمكنونات الذات الفردية ومؤثراتها.

([1]) طه، نضال فخري: **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله** (رسالة ماجستير غير منشورة)،بإشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009، ص 238

وعندما نتناول صورة الدم في البعد النفسي فإننا نقصد كيف كان يرى الشعراء الدم من وجهة نظرهم، ومن هواجسهم الداخلية، وكيف كانوا يشعرون به، وماذا كان يجسد الدم في نفسية هؤلاء الشعراء. وفي حالاتهم الروحانية وحسب أمزجتهم، فقد رسم كثيراً من المعاني السلبية والإيجابية في نفسياتهم. فهو يعود إلى حقلين متقابلين، أحدهما يدل على الموت لارتباطه بالقتل بما يثيره من الخوف والرعب، ويدل الثاني على الحياة لارتباطه بدم الولادة بما يثيره من البهجة والسّرور.

رفض بعض الشعراء القتل (الدم)، بسبب تأثير الصورة القبيحة التي تحمل في طياتها دلالات تشاؤمية مرتبطة بموقف نفسي يبعث على الفزع والخوف من عالم يسوده الموت والقتل والدمار، مما يولد عنده حالة شعورية قلقة ومضطربة.

على نحو ما نرى عند زهير بن أبي سلمى الذي صور ما يُقاسيه الإنسان من ويلات الحروب بما تقاسيه الإبل التي ترعى في مراعي فاسدة وبيلة، فإذا أرادت الشرب لم تجد إلا المياه التي تسيل فيها الدماء، يقول[1]:

(الطويل)

سعى ساعياً غيظ بن مُرّةَ بَعْدما ... تَبزّل ما بينَ العشيرة بالدمِ

رَعوا ظمْأهُم حتّى إذا تمَّ أوردوا ... غماراً تفّرى بالسّلاح وبالدّم

فقضَّوا منايا بينهم ثُمَّ أصدروا ... إلى كلأٍ مستوبلٍ مُتوخّمِ [2]

لَعمرك ما جَرَّت عليهم رماحُهُم ... دَمَ ابن نهيك أو قتيل المثَلَّمِ

ولا شاركت في الموتِ في دمِ نوفلٍ ... ولا وَهَبٍ منها ولا ابن المُحزّمِ

لا يخفى ما تحمله هذه الصورة من أبعاد ودلالات عميقة بما تشيعه في نفس المتلقي من اشمئزاز وشدة نفور وكراهية للصورة الدموية، كما أن تكرار كلمة الدم في هذه الأبيات تكشف

([1]) عطوي، فوزي: **شرح المعلقات العشر**، ص 78

([2]) مستوبل متوخم: ما كان وبيلاً وخيماً

عن رغبة قارة في نفسه يريد من ورائها التأكيد على كراهية الحرب والتشاؤم منها من جانب، والحفاظ على الحياة من جانب آخر، فهو يريد حقن دماء المتقاتلين.

وعلى مستوى الصورة البصرية، فإن ما يمكن أن يشعر به القارىء وهو ذلك اللون الأحمر (لون الدم) الذي أصبح هو اللون الطاغي، وهي الصورة التي كان زهير يقف ضدها بقوة متناهية، لأن منظر الدم منظر كريه لما يثيره من معاني التشاؤم والحزن[1].

كما نلاحظ أن زهيراً استطاع من خلال هذه الصورة أن يعكس الحالة النفسية المليئة بالحزن والألم ومظاهر التشاؤم التي يمرّ بها.

أما عنترة فيعتمد على التشخيص (الأنسنة) ليعكس الحالة النفسية القلقة والمضطربة التي يعاني منها فيقول[2]:

(الكامل)

يدعونَ عنترَ والرِّماحَ كأنها	أشطانُ بئر في لَبان الأدهمِ
ما زلتُ أرميهم بِثُغرةِ نحره	ولَبانه حتّى تَسربلَ بالدَّمِ
فازوَرَّ من وَقعَ القنا بلبانه	وشكا إليَّ بعَبرةٍ وتحمُمِ
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى	ولكانَ لو علمَ الكلامُ مُكلمي

ينشغل عنترة عن تصوير جواده بتفصيلات جسده، ويكتفي بتصوير المنظر العام في عجلة وإجمال، فالرماح مشرعة إلى صدره وصدر حصانه، وهما في هذا الموقف يكونان جسداً واحداً، فليس من الغريب أن يخلع عليه شعوراً بشرياً وأن تبدو صورة الفارس وصورة جواده وكأنهما مختلطتان، فالشاعر هنا يخرج من الأنا الذات المهيمنة للشاعر إلى رحاب المعركة وأشيائها الحية التي أصبحت جزءا نابضا من المعركة.

---

(1) ينظر: ربابعة، موسى: **جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى،** ص 1366، 1367

(2) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه،** ص 183

فيصور حالة فرسه النفسية متألما له ومشفقا عليه،يألم لألمه،ويشقى لشقائه، وهــذا نـــابع من الإحساس بالعقد الدونية التي يعاني منها، فقد ذاق في صباه مرارة الحرملن وقسوة العبوديـــة ومهانتها، فالبطل يرى نفسه في جواده، ويحاول أن يعوض ما كان يعيّر به من دنـــاءة النســب وسواد البشرة، فتغلغل في نفسية جواده وحاول أن يهدم جدار العُجمة بينه وبين الحصان، فالبطل أسقط كل ما بداخله من مشاعرالقهر والألم التي كانت تنتابه بسبب لونه الأسود ومهانة العبودية على جواده.

وتختلف وجهات نظر الشعراء حيال الدم، فإذا ورد دليلاً على الرعب والقتل الذي يحلّ بالأعداء فإنه دليل على النصر والغلبة للفريق الثاني، كما وجدنا عند عنترة الذي تغنـــى بالـــدّم، وكان يرى الموت أمراً لازماً على الأعداء فلم يكن يحسّ بحـــلاوة الانتصـــار بمجـــرد تحقيـــق الهزيمة بعدوه،ولم تكن نفسه تشتفي الاّ بهلاك هذا العدو كي تسكن ثائرته ويبرد غليله ويـــذهب همه و حزنه وعبر عن ذلك بقوله[1]:

(الطويل)

بهاليلُ مثلَ الأُســدِ فــي كُــلِّ مَــوطن   كَــأَنَّ دَمَ الأعــداءِ فــي فمِهِــم شـــهدُ

فالشاعر يصف سعادته وتفاؤله من خلال تشبيه طعم الدم الذي يرمز للغلبة والانتصـــار بالشّهد حلو المذاق، مما يعكس الحالة النفسية السّعيدة التي كان عليها الشاعر، وتبقـــى مشـــاعر البهجة بالفوز والتلهف للدماء تسيطر على الشاعر فيقول[2]:

(الكامل)

وَدِمـــاؤهم فَـــوق الـــدُّروعِ تخضَّـــبت   منهـــا فَصـــارت كـــالعقيقِ الأحمـــرِ

فعنترة يشبه الدروع وقد تخضبت بدماء الأعداء بالعقيق الأحمر ممّا يدل على ســـعادة عنترة عند رؤية الدماء، مما يعكس الراحة النفسية التي تمتع بها الشاعر.

([1]) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص 104

([2]) المصدر السابق، ص 79

ويقول الشاعر في موطن آخر[1]:

(الطويل)

فَدونكَ يـــا عَمـــرَو بـــن وُدٍّ ولا تَحُـــلْ   فرمحــــيَ ظمــــآنٌ لــــدمِّ الأشـــــاوسِ

ويقول[2]:

(الطويل)

وَمَنْ لم يُـــروِّ رُمحَـــه مِـــن دمِ العـــدا   إذا اشـــتبكت سُـــمرُ القَنـــا بالقواضـــبِ

تكشف لنا هذه الأبيات عن نفسية متعطشة للقتل، لا ترتوي من دماء الأعداء، بل تظـــل على الدوام تهرقها، ويرتوي منها سيفه ورمحه حتى لكأنه قد أولع بدم العدو ونـــال منـــه حـــدّ الثمالة. فهذه الكلمات (ظمآن، لم يروّ) تشي برغبة في نفسه يتغيا من ورائهـــا التأكيـــد علـــى تعطشه الدائم للدماء وعدم ارتوائه منها، فهو من عصابة تعشق رؤيتها، ويطيب له شرابها، فالدم يعتبر علامة على الفوز والانتصار والغلبة، فيكتسب بذلك أبعاداً دلالية تعبر عن موقف الشـــاعر النفسي المتمثل في فخره واعتزازه بنفسه.

وقد ابتهج كثيرٌ من الشعراء برؤية الدماء التي اعتبروها رمزاً للغلبة والانتصار، ونلمح هذه الصورة عند عمرو بن الأهتم الذي شبه الدماء التي تعلو الجياد بالحبر الأحمر،

فيقول [3]:

(البسيط)

حَتّـــى تَراهـــا أَســـابي الـــدِّماءِ بهـــا   كَأَنّمـــا كُســـيت حِبـــراً هَواديهـــا

وذلك للدلالة على شدة المعركة التي أدت إلى سيلان الدماء من الفريقين، وقـــد حظـــي الشاعر وقومه في هذه المعركة الحامية بالفوز، ولذا فهو سعيد بهذه الدماء التي جلبت له النصر.

([1]) عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، ص 88

([2]) المصدر السابق، ص 37

([3]) عمرو بن الأهتم: **شعره مع الزبرقان بن بدر**، ص 101

فالشاعر يعكس من خلال الدم الحالة النفسية السعيدة والمتفائلة التي يحظى بها الإنسان عند النصر والغلبة.

كما يقول طرفة بن العبد [1]:

(الرمل)

وَتساقى القومُ كَأساً مُرَّةً   وعلا الخيل دماء كالشّقر

يشبه الشاعر هنا الدم بشقائق النعمان الحمراء التي تعتبر رمزاً للجمال بسبب قربها اللوني من الدم، وقد جاء الشاعر بهذه الصورة ليضفي شعوراً مفعماً بالتفاؤل والفرح لما تبعثه هذه الأزهار من الارتياح النفسي.

صور بعض الشعراء ترف المرأة وجمالها، من خلال تشبيه ثيابها التي صبغت بالزعفران، بأحمر النجيع (الدم)، مما يدلل على الحالة النفسية المستقرة التي تتصف بها المحبوبة، على نحو ما نرى في قول عمرو بن معد يكرب[2]:

(الوافر)

وَصِبْغُ ثيابها في زَعْفَرانٍ   بِجُدّتها كما احمرّ النّجيع

نلاحظ في هذا البيت مقدرة الشاعر على رسم صورة للمرأة ملؤها السعادة والهناء، تعكس الراحة النفسية التي تتمتع بها.

فضلاً عن الأثر النفسي العميق الذي تتركه هذه الصورة في نفس الشاعر، والذي يتمثل في خلق واقع متغير ومتميز في نفس العاشق تجاه محبوبته، فهو يراها كتلة من الدم الأحمر الدافىء ولذلك سيرضى عنها لأنها ستروي نهمه.

([1]) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 50

([2]) عمرو بن معد يكرب: **شعره**، ص 142

فاللون الأحمر هنا يكشف عن جوانب انفعالية كامنة في نفس الشاعر، بما تحملــه مــن أبعاد ودلالات نفسية تعكس حالة الشاعر، فالأحمر المرتبط بالخصوبة الجنســية يثيــر البهجــة والتفاؤل بالحياة في نفس الشاعر.

كما نلمح مثل هذه الصورة بما تمثله من جمال وما تشير إليه من الســعادة والاســتقرار النفسي عند الشماخ الذبياني وذلك في قوله[1]:

(الوافر)

كَـــــأنَّ الزَّعْفَـــــرانَ بِمعصَـــــميها وباللَّبـــــــات نَضْــــــحُ دَمٍ نجيـــــــعُ

وكما عبر الشعراء عن حالتهم النفسية تجاه الدم في المجال الإنساني عبّروا عنها أيضــاً في المجال الحيواني، وربما يكون ذلك مرتبطاً بخبرة الشعراء وتجاربهم، وهي إمّا دلالة علــى رفض الدم وكراهيته والتشاؤم منه، أو حبِّه والتفاؤل به.

فالبشر ليسوا وحدهم هم من يمتلكون الشعور النفسي، بل إنّ الحيوانات تمتلك تلك الحالة النفسية والشعورية، من هنا نجح بعض الشعراء الجاهليين في رسم صــورة نفســية واضــحة وعميقة من خلال الدم لحيواناتهم، على نحو ما نرى في أبيات للأعشى يصور فيها بقرة أضلت وليدها فأكلته السباع ولم تجد دليلاً على مصرعه سوى دمه المسفوح،

فيقول [2]:

(البسيط)

حتّى إذا فيقةٌ في ضِــرْعِها اجتمعــت جاءت لِتُرضِعِ شِقّ النّفس لــو رضــعا

عَجْلاً إلــى المعهــدِ الأدنــى فَفَاجأهــا أقطاعُ مســكٍ وســافَتْ مــن دَمٍ دُفعــا

ويتكرر المشهد نفسه عند زهير الذي يقول[3]:

([1]) الشماخ الذبياني: **ديوانه**، ص 76

([2]) الأعشى: **ديوانه**، ص 122

([3]) زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، ص 23

(الطويل)

دَمَاً عندَ شـــلوٍ تَحجـــلُ الطّيـــرُ حَولَـــهُ   وَبِضْــعَ لِحـــامٍ فـــي إهـــابٍ مُقَـــدّد

" إن جعل الدم في الأبيات السّابقة علامة على القتل والموت والفتك عنصر أساسي فـــي شعر الشعراء الجاهليين الذين عاصروا الحروب، ورأوا القتل والموت المجاني يفتك بالناس من حولهم وقد ظلت هذه الصورة مختمرة في لا وعيهم ولم تفارقهم حتى وهم يتحدثون عن القتـــل في عالم الحيوان"[1].

وترتبط هذه الصور بأبعاد نفسية بارزة، فهي تمثل خسارة كبيرة للبقرة.

والمتأمل في الأبيات السّابقة يجد صورة الدم قد عكست حالة نفسية واحدة وهي الشعور بمرارة الفقد وشدّة وقعه على نفس البقرة، فالشعراء قد بلغوا غاية الإبداع في التصوير النفســـي حين وصفوا حال البقرة بعد هذه المفاجأة المرعبة، فقد طارت نفسها شعاعاً، واجتمع عليها الهمّ.

كما نجد أن الشعراء أرادوا من خلال استحضار صورة الدم أن يبينوا الأثـــر النفســـي المتسم بالحزن والقلق والاضطراب الذي تركه مصرع الجؤذر على البقرة.

في المقابل أحبّ شعراء كثيرون الدم وتفاعلوا به، لأنه علامة على الانتصار، كما نجـــد في أبيات لأوس بن حجر يجسد فيها طبيعة الصراع الذي كان يدور بين الثور والكلاب.

يقول[2]:

(الكامل)

يُنحـــــي الــــدِّماءَ علــــى تَرائِبِهـــــا   والقـــــــدَّ معقـــــــوداً وَمُنْقَضِـــــــبا
فَنَجـــــــــا بِشَـــــــــرِّتِهِ لِســــــــابِقِها   حتــــى إذا مــــا روقُـــــهُ اختَضَـــــبا

([1]) رباعة، موسى: **جماليات اللون في شعر زهير بن أبي سلمى**، ص 1373

([2]) أوس بن حجر: **ديوانه**، ص 3

وهنا يتجلى فعل البطولة ضد الأخطار، فالثور يقتل الكلاب ويسيل دمها بصورة كثيفة وكأنه يتشفى ويروي غليله منها، فتصبح الدماء هنا علامة بارزة على التشفي لأنها جاءت في سياق الحديث عن البطولة والشجاعة، فالدماء هنا تبرز دلالة إيجابية إذ إنها تجسيد عميق لقتل الأعداء والانتصار على الأخطار، مما يوحي بحالة نفسية تعبر عن الزهو بالفوز.

كما جاء الشاعر بالفعل (اختضب) ليكون شاهداً على سرور الشاعر وتفاؤله لأن الخضاب من علامات البهجة، فلونه يدعو إلى التفاؤل والمرح بعيداً عن الحزن، فلا يمكن أن يجتمع الحزن مع الخضاب، لأن الخضاب من وسائل الزينة والحزين لا يتزيّن.

كما تفاعل امرؤ القيس بالدماء وشبهها بالحناء على نحر فرسه يقول[1]:

(الطويل)

كأنّ دِماء الهاديات بَنَحرِهِ　　عُصَارةُ حنّاءٍ بشَيب مُرَجّلِ

فصورة حصان امرىء القيس وقد انتصر في معركة الصيد، وآثار المعركة تغطي صدره بالدماء الحمراء التي شبهها بالحنّاء، حملت أبعاداً نفسية تدل على التفاؤل، فالدماء تمثل الحياة بكل تدفقها كما تمثل غلبتها في موقف مفعم بها كموقف الصيد والانتصار على الفريسة.

3. البعد الاجتماعي

كان الشعر الجاهلي سجلاً حافلاً لحياة الناس في ذلك العصر، ومرآة صادقة لها، لذا فقد جاء حافلاً بالعديد من المؤشرات الاجتماعية. ومن خلال استقراء صورة الدم في الشعر الجاهلي لاحظت أنها قد انعكست جلية واضحة في شعرهم. فقد أخذ الدم في شعرهم مكانة سامقة ومقدسة.

ارتبطت العادات الاجتماعية في الجاهلية بصورة الدّم ومن أهمها الكرم الفياض، فقد كان في حياة الجاهليين قيمة خلقية عالية، ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة إكرام الضيف،

([1]) امرؤ القيس: **ديوانه**، ص 60

وتقديم حق الضيافة له مهما كانت درجة تلك الضيافة ومنزلة المضيف، يقدم له ما يقدر عليه، وما يتسع حاله له، والضيافة درس من الدروس التي لقنتها الطبيعة للإنسان أيضاً، فقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية، وما فيها من إجداب وإمحال، فقد كان المجتمع الصحراوي العربي يرزح تحت ثقل الصحراء وشظف العيش وقلّة الموارد، فالأرض قاحلة جدباء، وفسحة الحياة فيها ضيقة، لا عشب ولا نبات مع قليل من الماء لا يكفي لبث الحياة في الأرض، والموت وحش ينهش بأنيابه الضارية أرواحهم، فكان الغنيّ بينهم يَفضُلُ على الفقير، وكثيراً ما كان يذبحُ إبله في سنيّ القحط، ويطعمها عشيرته.

ويؤكد لنا ذلك الحطيئة الذي ذهب ليصطاد ليقدم لضيفه الطّعام وذلك في قوله[1]:

(الطويل)

فروّى قليلاً ثمَّ أحجمَ بُرهةً	وإنْ هو لم يَذبَح فتاهُ فقد همّا
وقال: هيَا ربّاه ضيفٌ ولا قِرى	بحقك لا تحرمهُ تا الليلة اللحما
فبينا هم، عنّت على البعد عانة	قدِ انتظمت من خلف مسحِلها نظما
ظماءً تريدُ الماء فانساب نحوها	على أنّهُ منها إلى دمها أَظْمَا

إنه يفكر، تتنازعه أحاسيس شتى، ابن يذبح وضيف بدون طعام، وظل موزع اللبّ، شارد الذهن تستبد به حيرة، ثم وجدت كلمات طريقها إلى لسانه، فناجى بها ربّه، شارحاً حاله، هيا ربّاه، ضيف ولا قرى، وتضرع إليه ألا يحرمه هذه الليلة من اللحم، وبينما هما في حيرة إذ أقبل قطيع من الحمر الوحشية. فاصطاد إحداها.

ونجد في قول الحطيئة: (على أنّهُ منها إلى دمها أظمأ) ما يؤكد حاجته الماسّة لهذا الصّيد، يطعم ضيفه ويكرمه، لأنه لم يكن يملك ما يقدمه له سوى هذا الصّيد.

([1]) الحطيئة: **ديوانه**، ص 134

إنّ هذه الأبيات تعكس بوضوح قيمة الكرم الأصيلة التي حرص العربي على الإتصاف بها، حتى جُعل من يتصف بها في الذروة من العزّ والشّرف، حيث كان وجودها في شخص ما مدعاة لاقتداء الآخرين به، والنسج على منواله، فهي عماد المكانة والمنزلة الرفيعة.

كما نلمح في الشعر الجاهلي قيمة أخرى من القيم الاجتماعية الجاهلية، وهي الجرأة والشجاعة التي تمثلت بالمخاطرة والمجازفة وعدم الاستهانة بالموت، فقد اعتبرت من مفاخر العصر الجاهلي، ولها في حياتهم دواع قوية تلح عليهم إلحاحاً، وتملي عليهم نمط السلوك الذي تقتضيه طبيعة هذه الحياة، فأرضهم على اتساعها فلوات موات، قليلة الأقوات تخصب اليوم، وتجدب غدا، ومن لم يجردّ السّيف دون حماه طرد إلى الأرض القفر وسيقت أنعامه وسبيت نساؤه، ولزمه العار مدى الدّهر، ولهذا كان العرب متحفزين للنزال تحفزا دائما، فمتى استنفر الشاعر منهم للذود عن حوضه نفر، ونزا على جواده، متوشحاً بلجامه، مستعداً للقتال.

وصورة الشجاعة ليست جديدة في الشعر الجاهلي، فهي صفة اتسم بها معظم العرب في ذلك العصر، وتكررت في أشعارهم كثيراً، كما نلمح في قول الحصين بن الحمام المرّي[1]:

(الطويل)

فَلَسنا على الأعقابِ تدمى كلومُنا ولكن على أقدامنا نقطرُ الدَّما

ففي قول الشاعر: (على أقدامنا نقطرُ الدَّما) كناية عن القوّة والشجاعة والاستبسال في المعركة، فالطعن في الصدور هو صفة الشجاعة، ونزول الدم على الأقدام هو دليل الإقدام، وهذا ما تعوّد عليه المقاتل العربي، وهو يواصل ترسيخ قيمه الأصيلة، ويفخر بوفائه لها، وهكذا نجد أن الدم ومن خلال تحديد مكان نزفه قد اختزل تلك القيم وعبر عنها خير تعبير.

وفي سياق الحديث عن القوة والشجاعة لا بدَ لنا من الحديث عن عادة جاهلية ارتبطت بالقوة والشجاعة، ألا وهي عادة الأخذ بالثأر للقتل من قاتله والتي كانت سبباً في حروب ونزاعات استمرت مدة طويلة – وقد ذكرنا ذلك سابقاً– صفحة42 حيث لا قانون يحكم الجاهليين

([1]) البصري، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين: **الحماسة البصرية**، 51/1

ولا سلطة تطالهم في الصحراء سوى قانون العادة وسلطة القبيلة، فما بالك حين يكون المحــرك للثأر هو القبيلة نفسها بقيمها ونظامها الاجتماعي، وكان الثأر واجب على أقرب الناس للقتيل.

وقد سجَّل الشعراء هذه العادة في أشعارهم وحثّوا على أخذ الثأر من القاتل، وعدم قبول الدّيات على نحو ما تصور ذلك كبشة أخت عمرو بن معد يكرب وقد قتل أخ لها، فهــي تــدعو للانتقام والثأر ورفض الدية، فالمقتول ما زال دمه طريّاً ينادي بأخذ الثأر، ولن يهدأ بقبــره دون أن يرى دم القاتل جارياً على حدِّ السيف، كما ترسم الشاعرة صورة معيبة لقومها فهم إن قبلــوا الدية ولم يثأروا له سيمشوا بآذان مجدعة كآذان النعام بسبب العار الذي سيلحق بهم.

تقول [1]:

(الطويل)

وأرســـلَ عبـــدُ اللهِ إذ حـــانَ يومُـــهُ إلـــى قومِـــهِ لا تعقلـــوا لهُـــمُ دَمـــي

ولا تأخـــذوا مـــنهم إفـــالاً وأبكـــراً وأُتـــرك فـــي بيـــتٍ بصـــعدةَ مُظْلَـــمِ

وإن أنْـــتُمُ لـــمْ تثـــأروا واتّـــديتُمُ فَمشُّـــوا بـــآذانِ النَّعَـــامِ المصُـــلَّمِ

ومن الإشارات الاجتماعية التي ظهرت في الشعر أيضاً خضاب النَّحر، ومجــال هــذا الطقس سباق الخيول، إذ إنَّ السّابق من الخيول ترفع له رايات الفخر،، وتوضع عليه علامــاتٌ للمباهاة ثم يخضبون نحره بدم ما صادوه – وقد ذكرنا ذلك في الفصل الأول –صفحة39.

ويشبه امرؤ القيس الدّم على نحر فرسه الذي وضع كدليل على النّصر والفوز بالحنّــاء الذي تتزين به العروس فيقول[2]:

(الطويل)

كـــأنَّ دِمـــاءَ الهاديـــاتِ بنحـــرِهِ عصـــارةُ حِنَّـــاءٍ بشـــيبِ مُرَجَّـــل

([1]) الطائي، أبو تمام حبيب بن اوس: **ديوان الحماسة**، 55/1

([2]) امرؤ القيس: **ديوانه**، ص 60

وكان للعرب عادة في الوقاية من العلاج من الأمراض، ففــي عــلاج عضــة الكلــب والجنون، كانوا يلجؤون إلى دم الرئيس أو الملك، فهو الطبيب المعالج لهذا المرض، ودمه البلسم الشافي، وهو بذلك قد بلغ منزلة القداسة.

قال بعض المريّين[1]:

(الوافر)

بَنـــــاة مكــــــارم وأُســــــاةُ جُــــرحٍ دِمــــاؤهم مــــن الكَلَــــب الشِّـــفاءُ

وقد أخذ الرئيس هذه القيمة الاجتماعية من أصل ديني، حيث كان الملك يعد بمثابة إلــه يعبد.

ومن الإشارات الاجتماعية الحَلف بالدّم، فعندما حلف الأعرابي بشيء، معنــى ذلــك أن ذلك الشيء قد وصل إلى منزلة القداسة، فجعله مصمد حَلف وأمل.

يقول طرفة بن العبد[2]:

(الكامل)

إنّــــي وَجــــدُكَ مـــا هَجَوتُـــكَ وال أنصـــــابُ يســــفح بيــــنهنَّ دمُ

ارتبط هذا الحلف مع حالة الأنصاب المسفوح بينها الدَّم، أي في (أثناء تقديم القرابين).

---

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: **الحيوان**، 7/2

(2) طرفة بن العبد: **ديوانه**، ص 82

الخاتمة

بعد استعراض مادة البحث واستقراء ما أكدها من أشعار، لا بدَّ من الوقوف على بعض النتائج التي خلص إليها البحث، وأهمها:

1. احتل الدم في فكر الأمم القديمة مكانة هامة، فقد اعتقدوا أن الدم هو الحياة نفسها، فهو لــذلك عنصر عزيز، كما اعتقدوا بوجود قوة حيوية فيه،فقدسوه،وخلعوا عليه بعداً أسطورياً، ولهذا تكونت مجموعة كبيرة من الممارسات السحرية والطقوس الدائرة حوله.

2. كان للأساطير والممارسات السّحرية والطقوس الدائرة حول الدم أهمية كبيرة فــي دراســة تاريخ الفكر الإنساني القديم، فهي أول محاولة لوضع مفاهيم فلسفية ترمي إلى إنقاذ الإنسان من متاهات الجهل بأسرار الطبيعة وظواهرها، فقد منحت الطمأنينة للإنسان القديم، وأنارت جوانب نفسه المظلمة.

3. لم تختلف نظرة الجاهليين إلى الدم عن غيرهم من الأمم، بل كانت امتداداً لهــا، فقــد آمــن العرب أن الدم صانع الحياة، وقد بدت قدسية الدم في كثير من الطقوس والممارسات الدينية والاجتماعية، مما يؤكد اندماج الفكر العربي الجاهلي مع الفكر الإنساني في القديم.

4. تعددت أسماء الدم ومنها ما ورد في الشعر الجاهلي، ومنها لم يرد ذكره.

5. لم يحظ الدم بقصيدة شعرية خاصة، وكل ما ورد في ثنايا موضوعات القصيدة الجاهلية، من خلال أبيات متفرقة، وقد تنوعت مواضع ورود الدم في الشعر الجاهلي، وهــذه المواضــع مرتبطة بطبيعة حياتهم كالحديث عن الحرب، والثأر،والصيد والخمر والظعائن.

6. ورد الدم بكثرة في أثناء حديث الشعراء الجاهليين عن القوة والشجاعة بسب طبيعــة حيــاة العرب في الجاهلية القائمة على القتال والحروب، كما ورد بكثرة أيضاً في أثناء حديثهم عن الصيد، فضرورات الحياة وحاجات الأفراد كانت تدفع الجاهلي إلى ممارسة الصــيد بكــل وسيلة.

7. اعتقد العرب بوجود قوة حيوية في الدم، وأن سكبه على الشيء يكسبه القوة لأنه يعطيه جزءاً من دم الإله، وهو جزء مبارك،لذلك فقد غطوا القبور والخيول والبقر والسهام بالدم.

8. عكس شعر الجاهليين الذي تحدث عن الدم أبعادا مختلفة، كالبعد الديني، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي، فالشعر الجاهلي كما هو معروف مرآة الحياة الجاهلية، حملها في ثناياه وسجل دقائقها وحفل بالإضاءات والدلالات والرموز التي تبين مكانة الدم،(وعكس ما ساء من ساد من انفعالات وقيم وأفكار).

9. جاء الشعر الجاهلي زاخراً بالمعتقدات الدينية،والقصص من الموروث القديم، وذلك لكون البعد الديني لصورة الدم يمثل خير شاهد على ما كانوا يعايشونه من معتقدات ترسبت في أذهانهم في حقب زمنية موغلة في القدم.

10. ارتبط الدم في أشعار الجاهليين ببعض القيم الأخلاقية الإيجابية، كالكرم والشجاعة وغيرها، وهذه القيم تضفي على أصحابها أبعاداً عميقة، مما يجعلها أوقع في النفوس.

11. عكس الدم في تجربة الشاعر الجاهلي العواطف والانفعالات التي تجول في خلدات الشاعر ورؤيته الذاتية، فغدا في إطاره النفسي متعدد الألوان والدلالات المتغايرة، لتنسجم مع حالات النفس التي تخفي وراءها مشاعر حقيقية تكمن داخل نفس الشاعر كالتشاؤم والتفاؤل والخوف .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن الشيباني:**الكامل في التاريخ**، (د.ط)،بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1965

أحمد، عبد الفتاح محمد: **المنهج الأسطوري في تفسير الشعر الجاهلي**،ط1،لبنان: دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع، 1987

أرمان، أدولف:**ديانة مصر القديمة**،ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي،1995

إسماعيل، فاروق: **الوثنية مفاهيم وممارسات**،(د.ط)، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1985

الأسود بن يعفر النهشلي:**ديوانه**، صنعه الدكتور يحيى الجبوري، (د.ط)، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1986

الأصفهاني، أبو الفرج: **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، ط2، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)

الأعشى: **ديوانه**، حققه وقدم له فوزي عطوي، لبنان: الشركة اللبنانية للكتاب، (د.ط)،(د.ت)

إفريحة، أنيس: **أوغاريت، ملاحم وأساطير من رأس شمرا**، (د.ط)، بيروت: دار النهار، 1980

الأفوه الأودي: **ديوانه**، شرح وتحقيق الدكتور محمد التونجي، ط1، بيروت: دار صادر، 1998

ألبيديل، م.ف: **سحر الأساطير (دراسة في الأسطورة والتاريخ والحياة)**، ترجمة حسان ميخائيل إسحق، ط1، دمشق: دار علاء الدين، 2005

الألوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العــرب،** عنـــي بشــرحه وتصـــحيحه وضبطه محمد بهجة الأثري، (د.ط)، بيروت: دار الكتب العلمية، (د.ت)

امرؤ القيس: **ديوانه،** اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصـــطاوي، ط2، لبنـــان /بيـــروت: دار المعرفة، 2004

أمية بن أبي الصلت: **شرح ديوانه،** قدم له وعلق عليه سيف الدين الكاتب، (د.ط)، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د.ت)

أوس بن حجر: **ديوانه،** تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، ط3، بيروت: دار صادر، 1979

بارندر، جفري: **المعتقدات الدينية لدى الشـــعوب،** ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، مراجعـــة عبـــد الفتاح مكاوي، (د.ط)، عالم المعرفة، 1978

الباش، حسن؛ السهلي، محمد: **المعتقدات الشعبية،** (د.ط)، دار الجليل، (د.ت)

الميثولوجيا الكنعانية والاغتصاب التوراتي، ط1، دمشق: دار الجليل، 1988

البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بـــرد ربـــه: **صـــحيح البخـــاري،** ط1، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000

بشر بن أبي خازم:**ديوانه،** تحقيق عزة حسن، (د.ط)، دمشق: مطبوعات مديرية إحياء التـــراث القديم، 1960

البصري، صدر الدين بن أبي الفرج بن الحسين: **الحماسة البصرية،** اعتنى بتصحيحه والتعليـــق عليه مختار الدين أحمد، ط1، 1964

البطل، علي: **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في أصـــولها وتطورها)،** ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1981

تأبط شراً: **ديوانه،** اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، ط1، بيروت: دار المعرفة،2003

تيمور، أحمد: **طرائف من روائع الأدب العربي،** ط1، مصر: مطابع دار الكتاب، 1999

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر**: الحيوان،** تحقيق وشرح عبد السلام هارون، (د.ط)، بيروت: دار الجيل، 1992

جاد المولى، محمد أحمد: **قصص الأنبياء،** (د.ط)، دمشق: دار النصر، 1984

الجوهري، محمد: **علم الفولكلور(دراسة المعتقدات الشعبية)،** ط1، القاهرة: دار المعارف، 1980

جياووك، مصطفى عبد اللطيف: **الحياة والموت في الشعر الجاهلي،** سلسلة دراسات (123)، العراق: منشورات وزارة الإعلام، 1977

الحادرة: **ديوانه،** حققه وعلق عليه الدكتور ناصر الدين الأسد، ط2، بيروت: دار صادر، 1980

حاوي، إيليا: **فن الوصف وتطوره في الشعر العربي،**ط3، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1980

حسان بن ثابت: **ديوانه،** شرحه وكتب هوامشه وقدم له الأستاذ عبد أ.مهنا، ط4، لبنان / بيروت: دار الكتب العلمية، 1994

حسن، حسين الحاج: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية،** (د.ط)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998

الحطيئة: **ديوانه،** اعتنى به وشرحه حمدو طماس، ط2، لبنان /بيروت: دار المعرفة، 2005

حميد بن ثور الهلالي: **ديوانه_ وفيه بائية أبي دؤاد الإيادي** _ تحقيق عبد العزيز الميمني، (د.ط)، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، 1965

الحوت، سليم: **في طريق الميثولوجيا عند العرب،** ط1، بيروت: مطبعة دار الكتب، 1955

الحوفي، أحمد محمد: **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**،ط4، مكتبة نهضة مصــر ومطبعتهــا، (د.ت)

المرأة في الشعر الجاهلي، (د.ط)، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، (د.ت)

خان، محمد عبد المعين: **الأساطير العربية قبل الإسلام**، (د.ط)، القاهرة: مطبعة لجنـــة التـــأليف والطباعة والنشر، 1937

خداش بن زهير العامريّ: **ديوانه**، صنعة الدكتور يحيى الجبوري، (د.ط)، دمشق: مطبوعـــات مجمع اللغة العربية، 1986

خليل، خليل أحمد: **مضمون الأسطورة في الفكر العربي**، (د.ط)، عكا: الأسوار للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ت)

الخنساء: **ديوانها**، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، ط2،لبنان /بيروت: دار المعرفة، 2004

دريد بن الصمة:**ديوانه**، تحقيق عمر عبد الرسول، ذخائر العرب (59)، مصر: دار المعـــارف، دار الكتب العلمية، 1994

دياكونوف، ي.م: **تاريخ الشرق القديم**، مراجعة محمد العلامي، ط1، فلسطين: دار أسامة للنشر والتوزيع، (د.ت)

ديورانت، ول: **قصة الحضارة**، (د.ط)،(د.ت)

الرباعي،عبد القادر: **الصورة الفنية في النقد الشعري (دراسة في النظريـــة والتطبيـــق)**، ط1، الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، 1984

رومية، وهب: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**، ط2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1974

الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس من جواهر القـــاموس**، (د.ط)، لبنـــان: منشـــورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)

زكي، أحمد كمال: **الأساطير (دراسة حضارية مقارنة)**، ط2، بيروت: دار العودة، 1979

زناتي، محمود سلام: **من طرائف العادات وغرائب المعتقدات**، (د.ط)، النسر الذهبي، 1996

زهير بن أبي سلمى: **ديوانه**، تحقيق وشرح كرم البستاني، (د.ط)، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1960

ديوانه، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، ط2، لبنان: دار المعرفة، 2005

زيد الخيل الطائي: **شعره**، جمع ودراسة وتحقيق أحمد مختار، ط1، دمشق: دار المأمون للتراث، 1988

سقّال، ديزيره: **العرب في العصر الجاهلي**، ط1، بيروت: دار الصداقة العربية، 1995

السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين: **شرح أشعار الهذليين**، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، راجعه محمود محمد شاكر، (د.ط)، القاهرة: مكتبة دار العروبة، (د.ت)

سلامة بن جندل: **ديوانه**، صنعه محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قباوة، ط1، لبنان/بيروت: دار الكتب العلمية، 1968

سليم، أحمد أمين: **دراسات في تاريخ وحضارة العراق القديم**، ط2، الإسكندرية: مكتبة البستان، 2004

السموأل: **ديوانه مع عروة بن الورد**، (د.ط)، بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، 1982

السواح، فراس: **الأسطورة والمعنى، دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية**، ط2، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2001

دين الإنسان (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، ط4، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، 2002

لغز عشتار (الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط6، دمشق: دار علاء الدين، 1996

مغامرة العقل الأولى (دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين)، ط13، سوريا /دمشق: دار علاء الدين، 2007

أبو سويلم، أنور: **دراسات في الشعر الجاهلي**، ط1، بيروت: دار الجيل، عمان: دار عمار،1987

ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المخصص**، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، (د.ت)

الشماخ بن ضرار الذبياني: **ديوانه**، شرح وتقديم قدري مايو، (د.ط)، بيروت: دار الكتاب العربي، 2004

الشمشاطي، أبو الحسن علي بن محمد المطهر العدوي:**الأنوار ومحاسن الأشعار**، حققه السيد محمد يوسف، راجعه عبد الستار أحمد فراج، سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، 1977

الشوّاف، قاسم: **ديوان الأساطير**، سومر وأكاد وآشور، الموت والبعث والحياة الأبدية، ط1، لبنان /بيروت: دار الساقي، 2001

الشوري، مصطفى عبد الشافي: **الشعر الجاهلي تفسير أسطوري**، ط1، القاهرة: الشركة العالمية للنشر، 1996

الصعيدي، عبد الفتاح؛ موسى، حسين يوسف: **الإفصاح في فقه اللغة**، ط2، دار الفكر العربي، (د.ت)

الضامن، حاتم صالح: **عشرة شعراء مقلون**، (د.ط)، بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1990

الضبي، المفضل بن محمد بن لعلى بن عامر بن سالم: **المفضليات**، تحقيق وشرح أحمد شـــاكر وعبد السلام هارون، ط6، مصر: دار المعارف، 1964

ضيف، شوقي:**البطولة في الشعر الجاهلي**، ط2، القاهرة: دار المعارف، (د.ت)

العصر الجاهلي، ط24، دار المعارف، 2003

الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس: **ديوان الحماسة**، ط3، مصر: مكتبة السعادة، 1927

الطبري، أبو جعفر محمود بن جرير: **تاريخ الأمم والملوك**، راجعه وصححه وضبطه نخبة من العلماء الأجلاء، (د.ط)، القاهرة: دار الاستقامة،1939

طرفة بن العبد: **ديوانه**، اعتنى به حمدو طمّاس، لبنان /بيروت: دار المعرفة، ط1، 2003

الطفيل الغنوي: **ديوانه**، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي، ط1، بيروت: دار صادر، 1997

عامر بن الطفيل: **ديوانه**،رواية أبي بكرمحمد بن القاسم الأنباي ، (د.ط)، بيروت: دار صـــادر، 1979

العباس بن مرداس السلمي: **ديوانه**، جمعه وحققه يحيى الجبوري، ط1، مؤسسة الرسالة، 1991

عبد الرحمن، إبراهيم: **الشعر الجاهلي، قضاياه الفنيـــة والموضـــوعية**، (د.ط)، بيـــروت: دار النهضة العربية، 1980

عبد الرحمن، نصرت: **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضـــوء النقـــد الحـــديث**، (د.ط)، عمان:مكتبة الأقصى، 1976

الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي، (د.ط)، عمان: دار الفكر، 1976

عبد الصمد ،محمد كامل :**عادات ومعتقدات في العصور القديمة** ،ط1 ، القاهرة :مكتبة الدار العربي للكتاب ،1995

عبد الله، محمد حسن: **الصورة والبناء الشعري**، ط1، القاهرة: دار المعارف، 1981

عبيد بن الأبرص: **ديوانه،** شرح أشرف أحمد عدرة، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1994

عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها**، ط1، بيروت: دار الفارابي، تونس: العربية محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، 1994

عدي بن زيد العبادي: **ديوانه،** محمد جبار المعيبد، سلسلة كتب التراث، (د.ت)

عزيز، مكارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم**، ط1، سوريا/ دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة،1999

عصفور، جابر: **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، ط2، بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1983

عطوي، فوزي: **شرح المعلقات العشر**، (د.ط)، لبنان /بيروت: الشركة اللبنانية للكتاب، 1969

علقمة بن عبدة: **ديوانه،** شرحه وعلق عليه وقدم له سعيد نسيب مكارم، ط1، بيروت: دار صادر، 1996

علي، إبراهيم محمد: **اللون في الشعر العربي قبل الإسلام (قراءة ميثولوجية)**، ط1، لبنان: جروس برس، 2001

أبو علي، توفيق: **صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية**، ط2، شركة المطبوعات،2000

علي، جواد: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط1، 1994

عمرو بن الأهتم: **شعره مع الزبرقان بن بدر**، دراسة وتحقيق سعود محمد عبـد الجبـار، ط1، مؤسسة الرسالة، 1984

عمرو بن كلثوم: **ديوانه**، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، ط1، بيـروت: دار الكتـاب العربي، 1991

عمرو بن معد يكرب الزبيدي: **شعره**، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، ط2، 1985

عنترة بن شداد: **شرح ديوانه**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، ط1، بيـروت: دار الكتاب العربي، 1992

غويربر: **أساطير الإغريق والرومان**، ترجمة حسني فريز، (د.ط)، عمان: دائرة الثقافة والفنون، 1976

ابن فارس، أبو الحسين أحمد: **مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط عبد السـلام هـارون، (د.ط)، دار الفكر، 1979

فريزر، جيمس: **الفلكلور في العهد القديم**، ترجمة نبيلـة إبـراهيم، (د.ط)، القـاهرة: الهيئـة المصرية العامة للكتاب، 1972

تموز أو أدونيس (دراسة في الأساطير والأديان الشرقية القديمة)، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، (د.ط)، بيروت: دار الصراع الفكري، 1957

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: **عيون الأخبار**، (د.ط)،القاهرة: المؤسسة المصرية للطباعة، 1963

قيس بن الخطيم: **ديوانه**، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، ط2، بيروت: دار صادر، 1967

كريمر، صمويل نوح: **أساطير العالم القديم**، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مراجعـة د.عبـد المنعم أبو بكر، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972

ابن الكلبي، المنذر هشام بن محمد بن السائب: **الأصنام،** تحقيق أحمد زكي باشا، ط2، القــاهرة: دار الكتب المصرية، 1988

كلارك، رندل: **الرمز والأسطورة في مصر القديمة** ترجمة د.أحمــد صــليحة، (د.ط)، الهيئــة المصرية العامة للكتاب، 1988

كونتنو، ج: **الحضارة الفنيقية،** ترجمة د.عبد الهادي شعيرة، مراجعة د. طــه حســين، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1997

لبيد بن ربيعة: **ديوانه،** شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الــدكتور حنــا نصــر الحتي، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1993

الماجدي، خزعل: **إنجيل سومر،** (د.ط)، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998

بخور الآلهة، ط1، لبنان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998

متون سومر، التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس، ط1، عمــان: الأهليــة للنشــر والتوزيع، 1998

المعتقدات الإغريقية، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، 1998

المبرد، محمد بن يزيد: **الكامل في اللغة والأدب،** (د.ط)، بيروت: مؤسسة المعارف، (د.ت)

المتلمس الضبعي: **ديوانه،** تحقيق حسن كامل الصيرفي، (د.ط)، معهد المخطوطــات العربيــة، 1970

المثقب العبدي:**ديوانه،** عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي، (د.ط)، معهد المخطوطات العربية، 1971

المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران: **أشعار النساء،** حققه وقدم له ســامي مكــي العــاني وهلال ناجي، (د.ط)، عالم الكتب، (د.ت)

مسعود، ميخائيل: **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، ط1، بيروت: دار العلم للملايـين، 1994

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق وتعليق الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، ط1، بيروت: دار القلم، 1989

منصور، جوني: **الأعياد والمواسم في الحضارة العربية**، ط1، حيفا، 1988

ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :**لسان العرب** ،ط1، بيروت :دار صادر،1990

المهلهل بن ربيعة: **ديوانه**، شرح وتقديم طلال حرب، (د.ط)، الدار العالمية، (د.ت)

الميداني:**مجمع الأمثال (مختارات)**، تحقيق محمد علي قاسم، (د.ط)، بيروت: مكتبة المعارف، 1986

ابن ميمون، محمد بن المبارك بن محمد: **منتهى الطلب من أشعار العرب**، تحقيق محمد نبيل الطريفي، ط1، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، 1999

النابغة الجعدي: **ديوانه**، جمعه وحققه وشرحه الدكتور واضح الصمد، ط1، بيروت: دار صادر، 1998

النابغة الذبياني: **ديوانه**، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، ط2، لبنان /بيروت: دار المعرفة، 2005

النعيمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ط1، القاهرة: دار سينا للنشر، 1995

وافي، علي عبد الواحد: **الطوطمية أشهر الديانات البدائية**، سلسلة إقرأ(194)، القاهرة: دار المعارف، 1995

غرائب النظم والتقاليد والعادات، (د.ط)، القاهرة: دار النهضة للطبع والنشر، (د.ت)

يوسف، عمرو:**حقائق مثيرة عن السحر**، (د.ط)، مصر: المركز العربي للنشر والتوزيع،(د.ت)

الدوريات

الألوسي، محمود شكري: ***رسالة في الألوان***، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، ج3،آذار، 1921

الديك، إحسان: صدى ***عشتار في الشعر الجاهلي***، مجلة جامعة النجاح للأبحاث /العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م15،حزيران، 2001

النماذج البدئية في الأغنية الشعبية الفلسطينية، أغنية (بكرة العيد وبنعيد) نموذجاً، مجلة جامعة النجاح للأبحاث / العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م24، ع7، تموز، 2011

الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث /العلوم الإنسانية، نابلس، فلسطين، م13، ع2، 1999

زكي، أحمد كمال: ***التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي***، مجلة فصول، ع3، 1981

كريم، سيد: ***السحر والسحرة عند قدماء المصريين***، مجلة الهلال، ع1، يناير،1975

الرسائل الجامعية

أبو عون، أمل: **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، شعر المعلقات نموذجاً(رسالة ماجستير غير منشورة)،بإشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2003

حيدر، بادية:**الخمرة في الحياة الجاهلية وفي الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف الجامعة الأمريكية، بيروت، 1980

الديك،إحسان: **الماء في الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غير منشورة) بإشراف يسري سلامة، جامعة الإسكندرية، مصر،1982

سعدو، زاهية: **تطور المعاني الخمرية من العصر الجاهلي حتى أبي نواس** (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف جامعة الجزائر، الجزائر، 1986

طه، نضال فخري: **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله** (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2009

عودة، خليل محمد حسين: **الصورة الفنية في شعر ذي الرمة** (رسالة دكتوراة غير منشورة)، بإشراف يوسف خليف، مصر، 1987

ناصيف، مهيَّة عبد الرحيم خضر: **الملك في الشعر الجاهلي** (رسالة ماجستير غير منشورة)، بإشراف إحسان الديك،جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2006

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Blood in Pre-Islamic Poetry

By
Naheel Tawfeeq Ahmed Al-Ardah

Supervised by
Prof. Ihsan Al-Deek

This thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master in Arabic Language and Literature, Faculty of Graduate Studies An-Najah National University, Nablus, Palestine.
2012

Blood in Pre-Islamic Poetry
By
Naheel Tawfeeq Ahmed Al-Ardah
Supervised by
Prof. Ihsan Al-Deek

Abstract

This study addresses the issue of blood in pre-Islamic poetry whose importance is seen in the fact that it reveals aspects of the pre-Islamic human intellect which is part of the ancient and modern Arab man intellect. The research is divided into an introduction, three chapters and a conclusion.

In the introduction, the researcher discussed the reasons behind choosing this topic. In the first chapter, the researcher provided two parts in the first of which she spoke about blood in human heritage and said that humans have always considered it as holy and sacred; blood in their view is the basis for life and the driving force of the human body, without it life can not exist for humans.

They also believed in an active force within blood itself, a thing which was clear in their rituals and practices.

"Blood in the Pre-Islamic Heritage"

In the second part of the chapter the researcher discussed the pre-Islamic Arabs' view of blood which she did not find as different from the view by other nations. The researcher concluded that the Arabs believed, like other ancient people did, that blood is the source of life and the holiness of blood is clear through their rituals and practices.

In the second chapter the researcher also provided two parts where in the first one she spoke about the linguistic definition of blood, blood designations, characteristics, its meanings and the poetic verses that speak about blood. In the second part the researcher described the places where blood was mentioned in pre-Islamic poetry, and explained that she has found that poets discussed blood in their poetry where they related it to strength, bravery, revenge, hunting, wine, grudges…etc.

In addition to this, the researcher addressed the most significant situations in which the pre-Islamic poet dealt with blood and its link to the abovementioned ideas.

In the third chapter, the researcher talked about the definition of poetic image and its dimensions. Then she moved to talk about the dimensions of the image of blood in pre-Islamic poetry. In this context the researcher found three dimensions for the image the first of which was the religious dimension through which the poet's ability to draw his material from mythological, historical and religious origins; she also talked about the psychological dimension which describes the performance that blood stimulated in the pre-Islamic people such as fear, pessimism and optimism.

In the social dimension, which was the third one, the researcher recorded some of the social traditions and values that emerged through blood.

In the conclusion, the researcher presented the most significant results that she has achieved through the study and included a list of the references and resources ordered alphabetically.